نادي الأدب بالشرقية

الرحيـــل

مجموعة قصصية

الشـوادفى البـاز الشـنيطـى

بطاقة فهرسة أثناء النشر
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الباز ، الشوادفى
الرحيل ، مجموعة قصصية
الشوادفى الباز : ط١ – المنصورة
دار الإسلام للطباعة والنشر
ت : ٢٢٦٦٢٢٠ / ٠٥٠ ـ ٠١٢٢٦١٤٣٦٣
سنة النشر : ٢٠٠٦
عدد الصفحات ١٠٠ صفحة
مقاس الصفحة : ١٤,٥ × ٢١

رقم الإيداع : ١٥٩٤٤ / ٢٠٠٦
تدمك : **977-374-050-8**

١ـ القصص العربية القصيرة
أ ـ العنوان
٨١٢,٠١

الإهداء

إلى حبة قلبي

وشريكة دربي

وصديقة كفاحي ونجاحي

الى زوجتي العزيزة

اهدي هذه المجموعة

عنوان صدق ومحبة ووفاء

الشوادفى الباز



تقديم

بقلم الدكتور / صلاح غراب

الأستاذ بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالزقازيق

يقول أيان رايد "Ian Reid" فى كتابه – القصة القصيرة – The short story " إن القصة القصيرة ضرب أدبى قائم بذاته . وإن خصائصه تنحصر فى ثلاث خصائص مرتبطة بعضها ببعض وهي :

أولا : أن لها انطباعاً واحداً على القارئ .

وثانيا : أن ما يجعلها تترك هذا الانطباع الواحد هو تركيزها على أزمة واحدة .

وثالثاً : أنها تجعل هذه الأزمة أساسية ضمن بناء قصصى مضبوط محكم "(1) .

ومن هذا المنطلق فإن القصة القصيرة تدخل فى إطار الفنون القولية . وإذا كان الفن القولى بعامة . شعراص ونثراً له القدرة على إيجاد إحساس راق قوي . يتسرب بلذة خلابة

- ترجمة د/ مني مونس .

الـى قلوبنـا . وبروحانيـة جذابـة إلـى صـدورنا فـإن القصـة القصيرة من أسرع الفنون تأثيراً فى حياتنا بما لها من تكثيف وإيجاز فى تصوير الواقع بحلاوته ومرارته . سواء فى ذلك كتاب الغرب والشرق .

والمجموعة القصصية التى بين أيدينا للكاتب والشاعر الأستاذ / الشوادفى الباز – وهي بعنوان – الرحيل – وقد ضم هذا العنوان – سبعاً وعشرين قصة قصيرة وكلها تدور فى اطار هذا الحدث – الرحيل – فحدث الإرتحال والانتقال من حال إلى حال كان هو الخيط الممتد فى المجموعة كلها . وتلك طبيعة الحياة وواقعها حيث لا تستقيم على وتيرة واحدة . وإنما شأنها التغيير والتبديل .

وإذا كان الحديث هو أساس فن القصة . فقد كان الكاتب مجيداً فى تحريك الأحداث وتنقلها من مكان إلى مكان فعانقت الأحداث الزمان والمكان وهما من الأسس القوية فى بناء القصة .

وقد خاض الكاتب فى أحداث كثيرة تدخل بعمق فى مجالات الحياة الواقعية . ولذلك اعتبرها من باب القصص الواقعي الذى يعايشه الناس فى معترك الحياة . وهو أقرب طريق للتأثير فى النفس البشرية . حيث لا خيال ولا مبالغة وإنما هو الواقع المعاش . ولذلك وجدنا من الأحداث ما يدخل فى باب الاجتماعات مثل قصة – العمدة – وإن كانت تركز فى بعض

جوانبها على النفاق الاجتماعي وقصة – الجائزة – والعطاء الممتد بين الرجل والمرأة لأولادهما .

وقصة عقد الإيجار التى انتهت مهمته من أجل العريس الجديد .

وقصة – الطنبور – الذى ألف بين هاني وابنة العمدة العمدة ومنها ما يدخل فى الباب التعليمي – مثل قصة - الحصاد - التى لدغ فيها المدرس أكثر من مرة ولكنه لم يتعلم – أن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .

ومنها ما يدخل فى الباب الديني مثل قصة – ابن الارض - حيث لا إنقاذ له من الهلاك والضياع إلا بما يأتي من السماء الذى يرمز له بصوت المؤذن الذى سمعه – أسامه – يقول – الله أكبر – أشهد أن لا إله إلا الله .

ومنها ما يتغلغل بعمق فى ثنائية – الموت والحياة – كما فى قصة – النخلة – فقد تهاوت النخلات الثلاث كما فقد – عبد الباقى – أبوية . وذلك بعد أن نعم بالعطاء والظل الظليل . وهكذا الحياة . للإنسان والنبات والحيوان .

وكما فى قصة – الرحيل – حيث تمتد الأحداث إلى العبارة – السلام ٩٨ – ويصور الكاتب بقلمه الفصيح لوحة من السرد والحوار . وينقل الأحداث من مصر إلى الأردن إلى السعودية الى سفاجه . بلغة سلسة وتدفق ملئ بالمشاعر

والأحاسيس التى تتراوح بين الآمال والآلام بين أمل مرتقب وقدر مكتوب . فإذا بالأرتحال يكون لعوض . والحزن والبكاء لشعبان وأسرته وهكذا الحياة تتوزع بين أفراح وأتراح .

وأما بالنسبة للشخصيات . فقد كان الكاتب على وعي باختيار الأسماء التى تعبر عن مواقفها ومواقعها من سياق الكلام . بمعني أنه يختار الاسم الذى يتفاعل مع الحدث . وتلك فنية اختيار الأسماء فى القصة ففى قصة – النخلة – يختار أسم الولد الذى مات أبواه - بحكمة مطابقة للموقف فى هذه الجملة – أطال الله عمرك يا عبد الباقى – دعاء له باطالة العمر ثم إنه عبد الباقي بعد فناء كل شى ولا ينسى مع هذا الاختيار أن يصور الشخصية تصويرا فنيا يتلاءم مع الحدث فعبد الباقى فى احداث الموت – احس برعشة شديدة .خفق قلبه ارتعدت فرائصه صرخ دون أن يدرى ... فجاة سقطت دمعة حائرة على وجهه . أحس ببرودة جسده واطرافه .غاب عن كل شئ ويستمر التصوير حتى النهاية مع شى من التفاصيل فى سير الأحداث .

وفى قصة – شجرة الجميز – والمتاع والثروة الطائلة التى ورثها الاولاد عن أبيهم وجدهم يختار اسم الجد – حافظ – وهو كان كذلك حفظ لهم الأرض والحيوان والنبات . بجده وسعيه المتواصل . ويمتد هذا المعني إلى ولده – سلطان - طيب الخلق ولين الجانب .ويمتد هذا المضمون إلى ولده –

حافظ – الحفيد – ولكن يأتي – بكرى – أول الذرية . والاسم مناسب لهذه الأولية .

فيتغلب شره على خير – حافظ الذى يقشعر بدنه من صراخ أم بكرى – سقط الفرع .. سقط الفرع وهناك أيضا – عباس أبو العينين – صاحب النظارة السميكة . والأسطى برهوم الميكانيكي . فى قصة – عقد الإيجار – وصالح نفشه فى قصة صندوق الدنيا – والشيخ يوسف المأذون وحمدان شيخ الخفراء أحياناً يختار الاسم لما فيه من معني التهكم والازدراء مثل - عفاف – فى قصة الدفء – حيث دعته لادخال زوجها المستشفى وذهبا معا إلى البيت لينام – نبيل – نوما عميقا يملوه الدفء فى احضان – عفاف – وهي ليست من العفاف فى شى . ولكن الاسم يفوح برائحة الضد من لفظة، وتلك براعة فنية فى استخدام الألفاظ فى ضد معانيها المعروفة .

ومثل هذا نجده فى قصة – الحصاد – فالمدرس اسمه – صادق – ولكنه لم يكن صادقا مع نفسه . يتعلم شيئا ويفعل اشياء أخرى . ولذلك لدغ أكثر من مرة . وهذا جزاء الكذابين .

وكل هذه الأسماء كانت تحاط بالوصف الكاشف عن سماتها النفسية والبدنية وعلاقاتها الاجتماعية مما يجعل المتلقى كأنه يشاهد شخوصا لها ظلالها وألوانها وصورها .

وقد تجلى عنصر آخر عند الكاتب وهو عنصر – التشويق-

فبعض القصص كان الكاتب لا يبد أبا لشخصية ولكنه يبدأ بالحدث . الذى يعتبر هو أساس حركة الإنسان فى الوجود . ويستمر فى سرد الأحداث مسندة إلى ضمير الغائب . وذلك من شأنه أن يدعو للتساؤل . من صاحب هذه الأحداث ؟

فإذا به يفاجئنا بالشخصية صاحبة الحدث بعد إثارة هذا السؤال الذهني الذى يحرك الفكر والشعور نحو معرفة الشخصية والتطلع إليها . وهذا جذب للقارئ للشخصية بعد جذبه للحدث . ولاشك أن تطلع النفس للأحداث أهم من تطلعها إلى الشخصية . ونجد ذلك واضحاً فى :

قصة – النخلة

قصة – العمدة

قصة – الثمرة

قصة – الدفء

قصة – أمل

قصة – الحصاد

وأما لغة السرد والحوار . فالكاتب شاعر وراوى للشعر ولذلك جاءت لغته وصفية تصويرية فنية تعتمد فى بعض نواحيها على الوصف المجرد .

وأحياناً كثيرة على التصوير الفني الذى يقتفى التشبيهات

والمجازات والكنايات . وكل ذلك فى إطار جمل قد تقصر أو تطول . وفقا للمضمون المقصود . ولست فى حاجة إلى ذكر نماذج فالقصة بين أيديكم تشهد بذلك ،

وفق الله الكاتب والمبدع الشوادفى البار وإلى مزيد من إبداعات قادمة بإذن الله تعالى .

أ.د. / صلاح غراب

◇

النخلـــة

عاد لتوه من المدرسة ، فوجد البيت على غير عادته يعج بالجالسات كأنه خلية نحل ، فالأصوات متداخلة ، لم يستطع أن يفقه منها شيئا .

وقف شاخصاً ، تسمر فى مكانه ، فلم تعد لديه القدرة على الحركة أو الحديث ، ثار فى نفسه سؤال عاجل .. ما هذا الذى أراه؟ .. شرد لحظة ثم عاد .. مع تلك اليد التى تربتْ على كتفه وهي تقول :

أطال الله عمرك يا عبد الباقى .

أحسَ برعشة شديدة ، خفق قلبه ، ارتعدت فرائصه صرخ دون أن يدرى .. ماذا حدث ؟! ..ماذا حدث ؟! من الذى مات ؟!

أين أبى ؟!

أين أمى ؟!

فجأة سقطت دمعة حائرة على وجهه ، احس ببرودة جسده وأطرافه .. غاب عن كل من حوله .. استيقظ من غفلته .. ليجد أمه محتشدة بلباس أسود .. وقد سطر الحزن على وجهها خطوطاً بارزة .. لم تعد تلك الابتسامة الواعدة التى كان يراها مطبوعة على ثغرها تمسح عنه كل خوف وقلق .. احس أن والده قد غاب للأبد .. لم ينبس ببنت شفه .. ابتلع حزنه داخله .. فلم يعد أمامه الا القبول والرضا بقضاء الله وقدره سارت الأيام كعادتها سريعة متدفقة ، تمضى ، تبتسم مرة وتعبس مرات ، لكنها على كل حال كانت جادة استيقظ فى داخله شعور بالخوف والقلق ، بالتردد والاضطراب ، فجاة لمعت فى ذهنه صورة تلك النخلات الثلاث التى كان يراها فى طريقه الى المدرسة كل يوم .. لقد كانت شامخة .. تقف بقوة تواجه الرياح والعواصف .. لكنها لا تنحني رغم انها كانت تميل يمنه ويسرة .. تتشابك فى قوة .. تحنو على بعضها البعض .

تقترب حينما تهزها الرياح وكأنها تهمس إلى بعضها بعض اسرارها وخوافيها.

ذات صباح .. خرج مسرعا إلى المدرسة ، فقد تاخر فى امسه الغابر .. فوقع فى دائرة العقاب .. سار مندفعاً بكل قوة .. أسقط فى نفسه .. يا إلهي ما هذا ؟!

لقد سقطت نخلة على طريقه من هذه الثلاث .. هاله المنظر ، لكنه مضى ، يا لها من رؤية قابضة ، كانت محملة بثمارها

التى لم تنضج بعد .. لكنها هوت إلى الأرض تناثرت ثمارها فى كل مكان، تهشم الجزع ، تكسر الجريد، فلم تعد القضية الآن قضية الثمرة .

يا إلهي لقد تسلل الفناء إلى تلك الثلاث فهوت إحداها .. لم يكن الريح قويا ، فقد كان الأمس على غير عادته هادئاً ساكناً .. فلم يكن عاصفاً أو غاضباً .. لكنها هوت .. محملة بقنوانها الدانية .. فلم أرها تحمل هذا الكم من قبل .. لكنها هوت الأيام تمضى .. لا تلتفت إلى الوراء .. مندفعة إلى الأمام بسرعة ، لكن الحياة رتيبة .. لم يتغير شئ .. كل شئ على حاله فى الظاهر .. لم تتوقف الحياة ولكنها تمضى لكن النخلات الثلاث أصبحتْ اثنتين فقد تلاشت الثالثة .. بلْ قد اختفتْ .

وها هي النخلة الثانية تبدو أكثر انحناء من ذي قبل ، تبدو محملة بالثمرة التى تزيدها الأيام ثقلاً وتبعة .. كادت تقترب إلى الأرض .. أصبحت قنوانها فى جهة واحدة كأنها تهمس ـى الأخرى بثقل التبعة .. لكنها تميل أكثر وأكثر عندما تداعبها الرياح ..لكنها على كل حال صامدة.

لقد اقترب موسم الرياح السنوي ، فدورة الفلك ماضية إلى سبيلها لا تتوقف .. وها هي الأيام تتآكل ..الظلمة شديدة حالكة .. الرياح تزمجر .. جاء الصباح لكنه يوم عاصف شديد العاصفة .. مضى فى طريقه إلى المدرسة كعادته .

دارت عقارب الساعة لم تتوقف ، انتهي اليوم الدراسى،

أخذ طريقه إلى البيت ، حانتَ منـه التفاتـة إلـى الأمـام فقد كـان غارقاً فى أفكاره .. ما هذا ؟! أين النخلة الثانيـة ؟! لقد سقطت هي الأخرى .

لقد أصبحت الثالثة وحيدة تقف فى العراء .. قائمة بمفردها .. هالـه الفـزع .. تـداعتْ خـواطره أحس بخطواتـه تتثاقـل فـى شـدة .. سـيطرتْ عليـه الهـواجس والأوهـام .. لعبـت برأسـه الأفكار والظنون .. شرد ذهنه إلـى البيت .. حـاول أن يسرع .. فقد خفق قلبه دون أن يدرى .. اقترب رويداً رويداً من البيت لكـن الحركـة غيـر عاديـة .. أحـس بالوحـدة والخـوف .. رأي الناس يتسابقون إلى منزلـه .. أخذته الدهشـة والرعشـة عندما وصل البيت فقد شعر بالوحدة .. لقد ماتت أمه .

◇

الخطبة

" إبراهيم " رجل قصير اسمر خفيف اللحم والعظم يملك مطعماً فى الشارع الرئيسي الذى يخترق المدينة من شرقها إلى غربها ، يجمع معظم المدينة . ومصالحها ، يصحو مع صيحات المساجد المنتشرة بالأذان على امتداد المدينة واتساعها مع نسمات الفجر الندية ، يفرغ من صلاته فى المسجد القريب ثم يتوجه إلىّ دكانه ، يقوم بإعداد بضاعته الحاضرة وعند صلاة العصر ينتهي من عمله اليومي جامعاً رزقه المقسوم ذاهبا إلى بيته مروراً بالمسجد لصلاة العصر.

يقضى بقية يومه فى إعداد بضاعته لليوم التالى ثم الجلوس مع أولاده أمام شاشة التليفزيون ثم يأوي إلى فراشه بعد تناول طعام العشاء ، ليبدأ رحلته فى اليوم التالى من جديد.

أمطرت السماء مطراً غزيراً فبدأ سقف المنزل المتهالك يقطر على الأسرة فاتحا صنابيره المنتشرة بلا نظام ولا انقطاع فى أرجاء المنزل منذ بداية الليل حتى تباشير الفجر

باتت الأسرة فى قلق دائم وتعب مستمر محاولين التخلص من الماء المتدفق الذى حوّل أرض المنزل إلى بركة صاخبة من المياه ، فكر إبراهيم فى المنزل الذى أكل عليه الدّهر وشرب فقد تركه والده عباس مع المطعم كما ترك أختا وحيده اسمها منيره تزوجت وأنجبت ثلاثة أولاد وبنتين وعاشت فى ضيق من العيش أبنها الأكبر أحمد بدت عليه علامات الرجولة والشهامة بعد حصوله على دبلوم الزراعة وحاول الحصول على عمل ساقته محاولاته إلى مصنع ألبان قريباً من بيت خاله ، تردد على بيت خاله فأصبح قريباً من خاله وأسرته ، هيام أكبر بنات إبراهيم أنهت دراستها فى المدرسة التجارية فى العام التالى الذى أنهى فيه أحمد دراسته جلست فى البيت تنتظر فارس أحلامها كما تنتظر من يفتح قلبها ويحرك عواطفها ويفسح المجال لتدفق مشاعر الحب والهيام نحو الرجل الذى يدق باب العشق من أوسع أبوابه على قلبها تردد أحمد على البيت فالتقت النظرات وتجاذبا أطراف الحديث بكل ود وصفاء ، أدركت أم هيام ميول أحمد الجارف نحو هيام التى استلطفت " محمود " ابن الجيران الطالب الجامعي الأنيق صاحب الشعر المصفف والنظارة الشمسية والقميص المزركش فانجذب قلبها نحوه فتعللت بصداقتها لشقيقته وبدأت تزورها لمقابلته ورؤيته والتحدث معه زادت موجات الغرام الجارفة فى مرحلته الوردية الهامة وبدت فى يقظتها شاردة مفكرة وفى نومها حالمة هامسة ، أيقظها من تلك

الحالة حديث أمها مع أبيها على مأساة البيت وكيف يتم إعادة بنائه وشقيقته ما زالت شريكته بنصيب الثلث رغم أنها فقيرة محتاجة ترفض بيع نصيبها فى المنزل بحجة أنه بيت طفولتها ومرتع ذكرياتها الجميلة فما المخرج ؟!

فكرت " حميدة " طويلاً بعد أن جمعت فى يدها مبلغاً من المال نظير بيع ميراثها عن أبيها شفقة على ضياعه من يدها وإسراف زوجها الذى جعله لا يملك فى يده إلا بضع جنيهات لا تغني ولا تسمن من جوع ، فهداها تفكيرها إلى حيلة ماكرة.

لماذا لا توقع أحمد فى شباك هيام بخطبتها رغم معرفتها بحب ابنتها لابن الجيران " محمود " حتى يسهل التخلص من شركة أمه فى المنزل ، فالصيف قد قارب على الانتصاف حتى لا يقبل الشتاء القادم فيتحول البيت إلى بركة باردة من المياه والأوحال اكتشفت هيام الحيلة فلعبت على أوتار قلب أحمد عازفة أروع مقطوعة خادعة من مقاطع العشق والغرام ، فظن " أحمد " أن نهر الهيام الدافق الذى سكن فى كيانها كان نتيجة لاسمها ولحبها الجارف وقع أحمد فى خيوط شباكها لم يدر إلا وأهل بيته يأتون لخطبتها والاتفاق على زواجها من " أحمد "

أحكمت هيام شباكها وبدأت تنصب خيوطها حول عمتها المسكينة لتخرجها من ميراثها من بيت أبيها بحجة أنها تحتاج إلى شقة تتزوج فيها بعد أن تعدها بالأثاث اللازم مع

عبارات الزهد المصطنعة بعدم حاجتها إلاّ إلى الضروريات دون ارهاق لأحمد فهو قبل أن يكون خطيبها فهو أخوها وابن عمتها.

بدأ الحديث من هيام إلى عمتها بسؤال لماذا لا تبعين نصيبك لوالدي فتضربين صيدين بسهم واحد أو عصفورين بحجر واحد ، تحصل على شقة فى المنزل كما تحصل على ثمن الأثاث من ثمن البيع .

استملحت عمتها فكرتها ورأيها ، فباعت نصيبها لشقيقها والد هيام .

بدأت إجراءات الهدم والبناء استقر إبراهيم فى المنزل الجديد فاتحاً فرعاً جديداً لمطعمه يديره ولده الأكبر أشرف بينما سرت رياح القلاقل على علاقة هيام بأحمد عندما أعلن " إبراهيم " بناء شقة لأشرف فوق المنزل .

جاءت حميدة تطالب شقيقها إبراهيم بما وعد فأخذت شبكة أبنها أحمد وكل الهدايا التى قدمها مع التحية لموقفها النبيل .

◇

العمدة

عمدة قريتنا رجل محب للحياة ويميل إلى السلطة وحب الجاه والسلطان ، صوته جهوري تظهر فيه نبرة من الكبرياء والعظمة ، يحب أن يفرض رأيه على الجميع بكل قوة .

ورث عن عمه منصب العمدية كما ورث الجاه والثروة والسلطان ، فلم يكن والده صاحب ثروة أو صاحب عمل مرموق وإنما كان يعمل فى أرض شقيقه العمدة السابق للقرية الذى لم ينجبْ سوي طفل عليل فارق الحياة مما عجل بنهاية العمدة السابق فلم يمكث بعده سوي بضعة شهور وفى تلك الشهور استطاع العمدة القديم أن يستعين بابن أخيه فى رعاية أرضه والحفاظ على ثروته ، أظهر ابن أخيه الحرص والاهتمام كما أظهر الرغبة فى مساعدة عمه العمدة وظهوره أمام أهل القرية أنه صاحب الحب والرعاية .

كان يسير خلف عمه بعدة خطوات ، يقف بجانبه عندما

يتحدث مع أحد أبناء القرية ، يظهر الحب والاحترام كما يظهر الأدب والطاعة وحسن الاستماع قدمه العمدة القديم لفض بعض المنازعات كما قدمه فى قضاء بعض الحاجات فكان مخلصاً أمينا كما قام فى قضاء بعض المصالح لأهل القرية فأظهر الحرص والمودة لأصحاب المصالح والحاجات مما أسعد أهل القرية ولفت نظرهم إلى رغبته الطموحة فى المستقبل واستعداده الفطري لما يأمله فى المستقبل القريب والبعيد على حدٍ سواء .

لكن أهل القرية يميلون إلى الطيبة والبساطة تاركين منصب العمدية لهذا العمدة الذى انقلب إلى وحش كاسر فأصبح كثير المظالم الذى فرض عليهم حياة السمع والطاعة وسماع الأمر والنهي دون مناقشة أو مراجعة ولأن مهمتهم الفريدة هي الزراعة والارتباط بالأرض والتعلق بها تطلع عليهم الشمس وهم فى حقولهم كأنهم جراد منتشر ، وعندما تغرب الشمس يكونون قد بدؤا فى رحلة العودة إلى ديارهم فى القرية كل ما يطمعون فيه هو العشاء ورشف الشاي ومراجعة ما تم فعله فى الحقول مع رشف أكواب الشاى وجلسات المسامرة واسترجاع بعض القصص والحكايات سارت الحياة فى رتابة وبطء،وسكان القرية يشغلهم السعي على لقمة العيش وشظف الحياة، يحصلون عليها بالعرق والجهد والكفاح ، وعمدة القرية القديم يمارس عليهم كل أصناف القهر والجور والاستغلال دون رحمة أو هوادة ،واستطاع أن

يجد له بطانة ضارية تضرب فى أعماق القرية وفى جنباتها ، كما وظف هذه البطانة لخدمة أهدافه ومراميه حتى أصبح كل شئ فى القرية رهن اشارته وطوع أمره والناس ما ضون فى مداهنته ومصانعته والبعد عن جوره وسطوته .

فجأة مات العمدة القديم ، ظن سكان القرية أنهم تخلصوا من جوره وسطوته ولكن هيهات هيهات !!

قامت البطانة بدورها ، هللت للعمدة الجديد .

خرج من بينهم بعض سكان القرية يداهنون وينافقون ، هتفوا بعدل العمدة الذي رحل حتى قالوا :

إن القرية أصبحت تفيض بالخير والبركة من عدله وصلاحه وطالبوا بالعمدة الجديد حتى تمتد البركة ويتواصل الخير والعطاء ، حملوه على الاكتاف وهللوا له .

بدأت القصص تنتشر والحكايات تتوالى ها هي عنزة زيد ولدت أربعة فى بطن واحد عندما مسح العمدة الجديد على ظهرها ، واثمرت نخلة زعتر مرتين عندما أكل من ثمرها العمدة الجديد !!

◇

ابن الأرض !!

ضاق " أسامة " بالبيت وبكل من حوله من أشخاص .. ، فهو هادئ الطبع يميل إلى العزلة والانطواء .. كثير التفكير والتأمل .. يجلس إلى نفسه بعيداً عن كل أفراد الأسرة حتى عرفوه بذلك فتركوه على مضض خوفاً عليه من العزلة والانطواء .

خرج من المنزل يهيم على وجهه فلم يجد مفراً من السير فى طريق القرية المفضى إلى مقابرها .. إنه الطريق الفريد الذى يخترق القرية فى قلبها ولكنه سار بضعة أمتار مبتعداً عن البيت والقرية .

كان البيت حديث البناء لم يكتمل بعد ، بناه والده فى قطعة

أرض ورثها عن أبيه عند مدخل القرية الجنوبى ولكن الطريق موحش والقرية مظلمة .

سأل اسامة نفسه .. هل ظلام الطريق .. أكبر من ظلام نفسه أو من غربته ؟!

نظر إلى السماء وفى نفسه شوق إلى رؤية النجوم وقراءة صفحتها فكثيراً ما يرتاح فى مناجاتها والنظر إليها.. !!

فرأي جسمين مضيئين يسيران معا كأنهما مصباحان متجاوران من مصابيح " الفلورسنت " تأملها جيداً ، لم يعهد هذا المنظر الجميل من قبل ، وثبت فى داخله فكرة تصويرهما.

أقل راجعاً إلى المنزل ، حمل كاميرا الفيديو الحديثة التى عاد بها شقيقه جهاد من النمسا بعد طول غيبته .

قام بتصوير الجسمين المضيئين ، استمر فى ذلك .. بدأ أحد الأجسام من الهبوط والاقتراب من الأرض ، ظهر الخوف والفزع على أسامه ، لكنه أصر على المعرفة واكتشاف سر الجسمين المضيئين .

بدأت الومضات فى الزيادة .. كما ظهر توهج الجسمين أكثر وأكثر أحس " أسامة " برهبة وخوف .. بينما ظهر رجل يهبط بمظلة ، ارتعد "أسامة " وهو يركض عائداً للمنزل .

هبط الرجل بسرعة ، نادي على " أسامة " قائلا :

لا تخف .. لا تخف يا ابن الأرض .

ردّ عليه أسامة بخوف وتلعثم قائلا :

من أنت ؟! .. من أنت إذن ؟!

من أين جئت يا ابن ... ؟!

من المريخ من فضلك !!

بدأ أسامة " يغمغم ماذا حدث ؟!

سلام قولاً من رب رحيم

كيف لا أخاف

لماذا يا ابن المريخ ؟!

لأننا لسنا أصحاب شر ولا دعاة شر .

لماذا جئتم إلى الأرض ؟!

جئنا لننصر أهل الأرض من أهل الأرض .

استيقظ أسامة من هذا الحلم على صوت المؤذن ينادي بأعلى صوته الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. أشهد أن لا إله إلا الله ..!!

◇

الجـــــائـــزة

كانت ليلة بهيجة حقا .. التفّتْ الأسرة كلها حول الأب .. فقد حقق الأب نجاحاً باهراً فى مجال العمل .

فالأب يحترف الكتابة فى المسرح بدأ الكتابة منذ بضعة أعوام وتحسس الشهرة والانتشار برع فى كتابة المسرح السياسى الذى يعانى من قلة الكتاب وضعف الأفكار وفراغ المسرح من تلك الأعمال البارزة التى تجذب الرواد وأصحاب الآراء والأفكار ، المتطلعين دائما إلى من يوضح لهم المجتمع على حقيقته فى دقة وإتقان .

فقد حرص الأب دائما على أن يشارك فى كل المهرجانات والمسابقات حتى يصبح اسمه على كل لسان ذائع الصيت لامعاً على صفحات الصحف والدوريات تعرفه العامة والخاصة وتتلمس خطاه أقلام الصفحات الفنية التى تجعل من (الحبة قبة) ومن (النبتة شجرة وارفة الظلال) .

كانت الأم تجلس بجوار الأب وهي تبتسم :

الآن لم يعد لنا أن نقترب من الكاتب الكبير .. فقد آن أن

تضَع له سكرتيرة حسناء تنظم أوقاته وترتب مواعيده .

يبتسم الأب وهو يقول لماذا .. ؟!

هل أصبح الوقت غالياً بهذا الثمن ؟! .. وحتى لو كان غالياً أيكون أغلى من قرة عيني وفلذات كبدى .. لا لن يكون هذا .

ضحكت الأم وقالت لقد أثلج صدورنا هذا الذى قرأناه اليوم فى جريدتك المفضلة .

ما هو ؟!

فوْزُك بالجائزة فى الكتابة المسرحية عن مسرحيتك " وسقط القناع " .

فى تواضع صادق يرد الأب وهو يقول :

لم أفزْ أنا ولكن الذى فاز حقيقة هو أنتِ .. أنتِ وحدك لقد كُنتِ لى ملهمة صادقة وأستاذة مخلصة وصديقة وفية وقارئة واعية ومرشدة دقيقة .. أقرأ فى عينيك أفكاري والمح فى وجهك نجاحى وفوزي فأنت الفائزة.

فى عاصفة عالية من القهقهة التى انفجر بها الأولاد جميعاً فى فرحة غامرة وفى صوت واحد " المهم أن تكون الجائزة لنا نحن وأنتما الفائزان".

ردَت الأم وهي ترسم ابتسامة عريضة وتقول :

" هي لكم وحدكم " فقد حصلتُ على حقى من الجائزة قبل

ذلك، كان كبيراً حقاً .. نعم أثمن وأكبر منكم فأنا أسرع منكم فى العطاء وأسرع أيضا فى النوال .

ينظر الأب فى دهشة المستغرب فترتسم علامات الاستفهام بادية على وجهه وحالة من الاستغراب تبدو على قسماته الصارمة ويسأل فى عجلة .

- كيف ذلك يا زجتى العزيزة ؟! كيف ذلك ؟!

أسرعى أيتها الحبيبة فأنا أتلهف بل أدفع كل ما معي كي أعرف الجواب .. أسرعي فى الجواب .

تبتسم الأم والأولاد يجلسون كأن على رؤوسهم الطير من حولها ينتظرون الجواب ولكن الفضول جعل كبيرهم يتكلم ما هذا يا أماه ؟!

كيف تأخذى حقك قبلنا ونحن ننتظر هذا اليوم بفارغ الصبر

ترد الأم فى لهفة بصوت عال .

ألا تكفى الجائزة فقد تركتها لكم وأخذت حقى بعيداً عنها قبلكم .

تثور علامات الدهشة مرة أخرى وينظر الأب فى دهشة وكانه بدا يعالج بعض الأشخاص فى إحدي مسرحياته وهو يتحرك فى خياله بسرعة وخفة وأصبح الحوار مثيراً مرة أخرى فى رسم علامات الاستفهام نحو الأم .

يبدو الهدوء على كلمات الأم وهي تقول :

نعم أنا أسرع منكم فى أخذ الحقوق واقتناص الفرص والمناسبات ، أليس من حقى أن أحصل على كل ما أريد ، فقد بذلتُ الكثير فحق لى أن أحصل على الكثير .

نعم لقد حرصت على أن آخذ هذا الحق بجدارة واستحقاق، دون أن يسبقنى أحد أو ينقض على هذا الحق غيرى .

لقد حصلت عليه برغبة مني .. حرصتُ عليه .. كافحت من أجله .. كثيراً .. عملتُ كثيراً .. أعطيتُ له كل شئ .. فكرى .. عقلى .. قلبى حبى .. أغلى أيام عمرى.

فقد أحببته كثيراً ودافعت عنه كثيراً .. أمام أهلى وأقراني .. نعم هذا حقى فقد منحنى الحب والثقة فمنحته الحب والعطف والحنان والهدوء والاستقرار .

أعطانى كل شئ فأعطيته كل شئ وأغلى شئ لقد تزوجته منذ خمسة وعشرين عاماً فهذا حقى المقسوم الذى يضئ لي الطريق جاء يطلبني فلبيتُ ندائه.

اختارني بإرادته فأحببته بقلبى وصنته بجوارحي وأسكنته فى فؤادي.

" فكان جائزتي وكان حقى " وهي تشير إلى الأب وتقول:

أتعرفونه ؟!!

◇

شجرة الجميز

جلس حافظ تحت شجرة الجميز العتيدة عند الساقية المهجورة فى الحقل وتذكر كل القصص التى كان يحكيها جدّه حافظ الكبير الذى ورث هذه الشجرة العتيدة عن والده كجزء مكمل للساقية وحظيرة البهائم وما كانت تنعم به هذه الساقية مع الجميزة من هيبة ووقار كانت هذه الشجرة تتمتع بالصحة والعافية والخضرة تفرش مساحة واسعة من الظل تحتها فتحتضن فى ظلها الإنسان والحيوان ، فهي لم تقتصر على أهل الساقية وحدهم وإنما كانت تضم الشارد والوارد ممن يمرون عليها ويطلبون الراحة والدعة والفئ والهدوء عندها قبل رصف الطريق وكثرة المواصلات حتى أصبحت معلماً من معالم هذا الطريق ومطعما شهي الضيافة لكل من يطلب بعض ثمارها الناضجة فى موسم الانتاج والعطاء.

شرد حافظ بذهنه متذكراً أيام طفولته الباكرة .

وما تمتع به من دروس وعبر فى مجلس جده حافظ الكبير وما تعلم من قصص الكفاح والسعي أيام أن كان يزرع الأرض ويفلحها وما حل عليه من نعم وبركات بسبب الجد والاجتهاد وما بذله ابنه الأكبر سلطان طيب الخلق لين الجانب فى السعي والعمل يعتمد عليه فى كل صغيرة وكبيرة وما كان من أمانة سلطان والد حافظ حفيده من حرص حتىاستطاعا معا أن يشتريا ضعف ما كان يملك حافظ الكبير من أرضى زراعية وما حل بالساقية والجميزة إذ رأي الفرع الكبير فى الجانب الأيمن مهدولا يتراقص مع الهواء دون حول ولا قوة تعبث به الريح ولات حين مناص.

بكرى ولده الوحيد أكبر ذريته مستدير الوجه بهي الطلعة طويل القامة عريض الجبهة ممتلئ الجسم تبدو عليه علامات الطيبة والدعة فارغ الوقت والعقل يميل إلى الدعة والكسل يسير وفق هواه ومزاجه نفض يديه من كل شئ إلا من اللهو والطرب كعادة أبناء الثراء والنعمة لا يعرف من حياته سوى الخمول والراحة اندفع وراء لهوه ومجونه وفراغه ونزواته أغمض عينيه وصمَ أذنيه إلا عن قرناء السوء وشلة اللهو والطرب والندماء والمنادمة جرفه تيار اللهو إلى جماعة من الأصدقاء الفارغين أملهم الاستغلال والحسد ودافعهم المزاج واللغو جرفوه فى تيارهم الفارغ ولهوهم الجامح أغرقوه فى غيابة الجبُ وكأنهم وضعوا عصابة كثيفة على عينيه وعلى عقله وقلبه فوقع فى عشق غانية .

أغرقته فى بحر عشقها الكاذب وخداعها الماكر ، تاه بكرى فى الغرام والسهر وانخرط فى الشراب واللهو والبذخ والترف فتلاطم الموج وتلاحق استيقظت لبيبه أم بكرى من نومهاصارخة لقد سقط الفرع .. لقد سقط الفرع .

فاقشعر بدن حافظ على صراخها ثم قالت :

أين كل مصاغي ؟! .. أين ذهبى ؟!

لقد ذهب مع الريح ؟؟

◇

شهادة استثمار

" محمود " صغير الجسم كثير الحركة ، فى السنة الثانية من المرحلة الإعدادية ، تملؤه الجرأة والنشاط. جلس إلى جوار " عادل " مفرط الجثة كبير السن تظهر على وجهه نقوش السنين التى ضيعها فى تأخره فى الدراسة علاوة على بقايا بثرات الجدرى الذى ترك بصماته على وجهه كذلك ساقه الجلوس إلى جواره فى المقعد الخالى الذى فقد صاحبه فى حادث منذ اسبوع ،فكان المقعد الخالى هدية الوافد الغريب.

جلس عادل بجوار محمود يسيطر على ثلاثة أرباع المقعد بينما محمود قد أنزوى فى ربع المقعد شاكراً ربه على هذه البقية الباقية بينما عادل تظهر عليه علامات الثراء والدعة والامتلاء جاء عادل من مدينة أسيوط فى الوجه القبلى بعد أن تقاعد والده عن العمل تاركا مديرية الزراعة فى أسيوط وما كان يتمتع به من سلطان وجاه ومكانة انعكست على مظهره وشخصيته عائداً إلى قريته الأم ومسقط رأسه ، ليقوم على زراعة أرضه وتنمية مشروعاته فى رحاب قريته التى مستها المدينةَ مسا خفيفاً فجمعت بين أخلاق القرية وثوب المدينة

فى شكلها البسيط.

مضـى أسـبوعان علـى حضـور عـادل فسـرق الأضـواء والاهتمـام تعرف عليـه الأسـاتذة أحـاطوه بالرعايـة والعنايـة والرضـا ، صـار مسـئولاً عـن الضـبط والـربط وعـن النظـام والقيـادة فـى الفصـل ، ضـاعت أدوار الطـلاب وسـط نسـيان الأساتذة والإستغناء عنهم ، تردد اسم عادل على كل لسان كما تردد اسم والـده بين الأستاذة ، فنـال عـادل الحظوة والرعاية مع تراجع الأدوار والمواقف .

صارت حصة المطالعة ملكاً لعادل كغيرها من الحصص هو الـذى يقـرأ فـى البدايـة كمـا كـان يقـرأ فـى النهايـة فهـو حجـر الزاوية وبداية الدوران .

تملكت الجرأة محمود فقال بصوت مرتفع لماذا عـادل؟! فـى إحدي حصص المطالعة .

تـم طـرده مـن الفصـل وحرمانـه مـن حصـة المطالعـة بـدأ السـؤال عـن محصـول البرتقـال الـذى جـادت بـه أرض عـادل وقريتـه .

جاءت تباشير محصول الفراولة التى انتشرت زراعتـها فـى القرية مع نهاية العام تجمل فى طياتها الحفل الختـامى. وبدأت مراسم الأعداد والتجهيز توج عـادل طالباً مثالياً وحصل على وشاح وشهادة استثمار .

◇

الأصل والصورة

آن لى أن أستريح من هذا العناء فقد أتعبنى كثيراً جداً وحق لى أن أستريح .

لماذا ؟!

لأننى قطعت شوطاً طويلاً فى درب العمر ومشواراً فى صحراء الزمن القاحل ، فلمْ يعدْ لى طاقة لكل هذا فلماذا كل هذا العناء والدنيا مليئة بغيره؟!

لقد كان حظى عاثراً حينما وافقتُ عليه شريكا لحياتي كان يملك بعض المال فظننتُ أنه يملكُ باب سعادتي ونعيم حياتى .. لكنني عشت معه تعاستى وشربتُ كأس شقائى .

- أكُلّ هذا ؟

- وأكثر من هذا لقد حلمتُ بالسعادة قبل أن أراه فلما اقتربتُ منه أخذتنى التعاسة من كل جانب .

أليس من حقى أن أستريح ؟!!

ولكن ماذا ترغبين ؟! وكل شئ عندك يبعث على الراحة والاستقرار يا وداد .

أريد أن أستريح ؟ أريد أن أستريح !!

نعم من حقكِ ومن حق كل إنسان أن يستريح .. ولكن ما هذا الحق الذى تطلبينه مرة أخرى ؟!

هذا حق ليس فيه جدال .

لقد زُرت معه كل طبيب وكل عيادة طبيب فلم يبق أمامنا إلاّ عيادة واحدة هي الأنف والأذن فلقد أصبح مراجعاً دائما .. بل مراجعاً قديما فى عيادة العيون .. أمراض الجهاز الهضمي .. الجراحة .. جراحة المخ والأعصاب .. الخ .. الخ .

لقد حفظتُ طوابق المستشفى الجامعي .. عياداته وممراته ومداخله . ومخارجه ..

فلماذا كل هذا العناء ؟!

تقولين أنكِ عانيت كثيراً .. من قربه !!

نعم ..

ولكن إلى هذا الحد قد قتل السعادة التى تحلمين بها وأسدل على وجهك ستار الحزن والتعاسة وأشعل حولك نار الألم والشقاء.

بل أكثر من هذا حملني مالا طاقة لى به فقد جعلني أتألم تحت وطأة الأعباء الثقال .. مشاكل .. عمل أولاد .. بيت .. كل شئ .. كل شئ .. حينما أراه جالساً يقلبُ فى كتبه وأوراقه

منقطعاً عن كل من حوله حتى أولاده .. أحسُّ بالألم والعناء .. ليتني لم أرهُ .. لمْ أعرفهُ .. لم أرتبط به .. كل شئ حولى يمنحني الشقاء .. كتبه أوراقه .. وأولاده .. وآلامه التى تتوالد مع الليل ، وتنمو مع الزمن ، وتتكاثر مع الأيام والساعات ، فكأنما الأيام تمطره عِللاً وأمراضاً ، لم أعد قادرة على أن أطبق جفوني على صورته .

ولكن أين الحب ؟! فقد سمعت منكِ كلاماً كثيراً عن الحب وعن الهيام .

قتله داخلى .. لم أعد أحس به يا فؤاد لم أعدْ أحس بصرخات قلبى .. ونبضات إحساسي .. يا إلهي ألمْ يكن هذا هو معشوق نفسك وروحك من قبل .. أليس هذا هو اختيارك ورغبتك ألم تقاتلى الجميع من أجل حبه وزواجه .

لقد كان .. نعم لقد كان

والآن يا وداد ؟

أصبح مصدر شقائى وتعاستي .

ليس امامك إلاّ الصبر .. والتسليم لأمر الله .

لا تقل الصبر والتسليم بل قل الخضوع والاستسلام إننى صبرت كثيراً.. كثيراً جداً .. فزميلتي أشجان تعيش الحياة بطولها وعرضها .. بأفراحها وحلاوتها .. فزوجها رجل أعمال ناجح ، أغرقه الثراء العريض، والتفَّ حوله المال من كل

جانب ، فهي تذوب فى الدلال والمتعة والجاه ، وأنا أذوب فى الألم والشقاء، لقد كان هذا فى البداية والنهاية هو اختيارك وإصرارك فلم نفرض عليك شيئا فلابد لك أن تصبرى . لم أعد أطيق الصبر إن صورته تفزعني فى منامي اكثر من يقظتى.

إنه يقتل الأمل ، يذبح السعادة ، يحطم روحي وقلبي .

بل قولي كما كنتُ تقولين سابقا كل نظرة منه هي سهم نافذ إلى قلبي.

لم يعد كذلك .

أعرف أنه لم يعد كذلك لقد ذهب هذا اختفى فلم يعد له وجود.

لقد أحببتُ ذلك الشاب الذى يتمتع بالفتوة والقوة والشهامة والرجولة.

نعم قد مات هذا الشاب ولم يبق منه إلا صورته وهيكله فحق أن تستريحي .

فقد ذهب الأصل وبقيت الصورة فكنتِ مخلصة للأصل دون الصورة.

نِعْمَ هذا الوفاء !!

◇

نهر الدموع

حَمل معروف متاعه إلى محطة القطار فقد أوشك الاقتراب من موعد القطار فلم يبق سوي نصف ساعة فقط.

لكن البيت قريب من المحطة فما المانع إذن من البقاء فترة وجيزة أخرى ؟!

لكن معروف قلق عجل يريد الرحيل

لماذا هذه العجلة يا ولدي ؟!

ليس هناك عجلة ولكنه قلقُ الرحيل يا أماه .

ألم أقل لك يا معروف أننا يجب علينا أن نتمسك بوجودنا معاً فلم يعد لى احتمال على فراقك يا ولدي ولكن ..

ولكن دوام الحال من المحال يا أماه .

كيف ذلك يا ولدي ولم أعد أفهم ما تعني وما تقول ؟!

لابد من التغيير حتى يكتشف الإنسان نعمة مافى يديه فيعرف لها حقها ويصون قدرها .

لا يا ولدي ولكن التهاون فى الواجبات والحقوق شئ غير طيب .

أي تهاون يا أماه ؟!

كم أعطيت لك من جهدي وعقلى ومن مالى وحبى .. بذلتُ لك كل ما أملك كي تصبح عظيماً ترفع رأسى أمام أهلك وأقرانك ولكن .. وتجهش الأم بالبكاء .

لا تكملى يا أماه فأنا الآن أعرف كل شئ وأدفع الثمن .

أي ثمن هذا الذى تدفعه يا ولدي ؟!

ثمن التهاون من غير قصد فقد آن لى أن أدفع كل شئ ولم يبق لى إلاّ الإغتراب .. نعم الاغتراب يا أماه .

ولكنك رجل وتعرف معني كلمة رجل .

نعم أعرفها ولم يبق لى إلاّ أن أظهرها فقد حان موعدها.

سأظل انتظرك يا ولدي على أحر من الجمر فأنت فلذة كبدى وقطعة من جسدي فكم حملتك على راحتي وأرضعتك من عطفي ومحبتي وكياني أنتظر منك كل شئ .

إنني أنتظر منك الكثير فقد قدمت لك الكثير .

أطمع فى ذلك فقد نذرت عمرى لك ولإخوانك .

لابد أن أرى ذلك يا ولدي ولكن ..

ولكن ماذا يا أماه .

لقد تركوني جميعاً .. ذهبوا كل فى طريقه حيث يشاء الله.

ولكنهم جميعاً يحملون بين جوانحهم كل حب وعطف وشفقة ومودة يحملون أعظم حب ومودة فالحب كل الحب لك يا أ ماه فأنت الأم الرؤوم والنبع الحنون .

بماذا ينفع الحب يا ولدي ؟!

" إن العواطف وحدها لا تشبع جائعا ولا ترد غائباً ولا تعين ضعيفا ولا تمنع غادراً ولا باغيا .

كفى يا أماه لقد تقطع قلبى وارتعدت فرائصى .

يهم معروف وهو ينظر فى ساعة يده ويقبل يد والدته وهو يقول حان وقت الرحيل .. حان وقت الرحيل .

يا أماه حان وقت القطار .

أسرع يا ولدي حتى لا يفوتك القطار .

◇

عقد الإيجار

جلس " عباس " أبو العينين كما كانوا يطلقون عليه هذا الاسم نظراً لنظارته السميكة التى كان يلبسها فوق عينيه على الرغم من العور الذى أصاب عينه اليسرى، بدأ يفكر فى مخرج لولده من تلك الخطبة المشئومة التى وقع فيها من غير قصد ولا رويّة فكيف يكون الخلاص من هذا البئر الذى وقع فيه ؟. فقد خطب ابنه " سمير " بنت الأسطي برهوم الميكانيكي الذى تسيل على لسانه كل أنواع الشتائم والسباب المختلفة طوال النهار والليل حتى أن جيران الورشة بعضهم ترك مسكنه فراراً من برهوم إلى مكان أخر تاركاً خلفه " برهوم " وإزعاجه وثورته علاوة على أنه رجل شرير صعب التعامل.

خشن الحديث لكن سمير أحب أبنة برهوم التى جذبته

بجمَالهـا وقـدّها الممشـوق ودلالهـا المفـرط فانـدفع لخطبتهـا كالسيل المنّهمر من أعلى الجبل إلى قاع الوادي فلم تمض على تلك الخطبة سوي بضعة شهور حتى انكشف كل شئ أمام سمير ولكن بعد فوات الأوان فبدأ يطالب أباه بالخلاص من هذه الخطبة . شرد ذهن عباس وهو يفكر في حيلة فهداه تفكيره إلى حيلة ماكرة كي يتخلص من تلك العثرة التى وقع فيها ولده الوحيد ، استأجر شخصاً أخر يقوم بدور العريس الولهان من أصحاب السهرات والشراب تبدو عليه الأناقة ليحل محل سمير ، ينسجم مع ميول برهوم وسلوكياته وتصرفاته غير معروف لبرهوم وأسرته حتى يتم انسحاب سمير فى هدوء من هذه الخطبة الخانقة .

بدأت مراسم الاتفاق تتم مع العريس المستأجر وطريقة الدفع والدخول على منزل برهوم والانفاق عليه بكل سخاء، قام عاطف بدور العريس المحبوب يلعب بمشاعر بهية ويحرك كوامن نفسها على أكمل وجه أنفق ببزخ دخل قلب وعقل برهوم وابنته بهية من أوسع الأبواب.

عاطف من قرية قريبة من المدينة التى يسكن بها برهوم يتيم الأبوين دخله محدود من تجارته البسيطة لبيع الملابس والسلع يحملها فى شنطة يده متجولاً بين القرى المحيطة دخل عاطف على برهوم بحاجته الملحة إلى هذا النسب والحسب والأسرَة الطيبة فتعجل أمور اتمام الزواج فى القريب العاجل

نظرا لظروفه العائلية محط أنظار الجميع.

بدأ هذا العريس يخايل نظر برهوم ويملأ عليه جوانب نفسه وعقله كما صار ملء السمع والبصر إلى ابنته وزوجته فرحانه فتحرك لعاب الجميع على كسب ود العريس الجديد شطح عاطف فى استمالة عائلة برهوم وإرضائها أظهر استعداده لكل ما يسعد " بهية " فهي ستكون كل ما له فى الدنيا وحتى يرتاح برهوم من أعباء الزواج ونفقاته .. اتقن عاطف اللعبة بذكاء .

تنفس برهوم الصعداء وقد حصل على عريس يسعده قبل أن يسعد بهية ، بدأت بهية تنفر من " سمير " وتمتنع عن مقابلته معللة ذلك بأعذار وهمية واهية حينما أظهر " سمير " من ناحيته الهيام والرغبة والوله والعطش الجامح لخطيبته " بهية " زادت بهية فى عنادها وإصرارها على التمنع واستمر عاطف فى أداء دوره فدفع برهوم بكل ما جاء به " سمير " فاسخا خطبة بهية ليفسح المجال للعريس الجديد .

مضت عدة أيام وعاطف بدأ يخلف المواعيد ويماطل فى الحضور ويخفف الزيارات هنا " عباس " برهوم وزوجته فرحانه على العريس الجديد المستأجر مرددا . لقد انتهي عقد الإيجار .

◇

صندوق الدنيا

اسمه " صالح نفشه " كان واسع الخيال غزير القصص والحكايات ، يسيطر على أذن سامعه ، أعداده فلكية مضخمة فيها الأصفار ، لا يمل من حديثه عن رحلاته ومغامراته فقد طاف الأرض كلها وأشبع الناس معارف وخبرة . قصصه خصبة ومعارفه كثيرة لا تحصى ، اجتاز مصر من أقصاها إلى أقصاها ، فنقشت على ذاكرته أطوال الأرض وأطوار الناس وأحداث التاريخ فهو يعرف كل شئ ويتكلم فى أي شئ ، كأنه صندوق الدنيا أو معجم البلدان والأوطان .

جمع المعارف والتجارب والأفكار والأخبار .

طباخ يعرف طعام كبراء الناس وعظمائهم يحاول دائماً

رسم صور كل الشخصيات التى نسمع عنها فى ثقة وطلاقة بدأ ذات مرة يتكلم عن طباخ كلب البيه الذى كان يعمل بدقه قبل أن يرحل هذا البيه عن أرضه وعماله والناس .

كان " زكي " طباخ كلب البيه نوبيا طويل القامة عريض المنكبين رجلا مخلصا فى عمله شهماً يعامل " كلب البيه " معاملة حسنة طيبة جعلت البيه الكبير مسروراً منه ومن هذا الكلب الذى ظهرت عليه علامات الصحة والسمنة والدلال .. مما كان يلتهمه من أطايب اللحم والإدام الذى جعله ينام كثيراً ويفزع إلى الراحة والدعة مما جعل زكي يتمتع بالحظوة عنده، رزق الله زكي سبعة أولاد رباهم أحسن تربية فقد كانوا أذكياء تخرجوا جميعاً من كليات الطب أصبحوا جميعاً أطباء مشهورين فى تخصصات مختلفة.

تعجب الجالسون من الشباب وارتسمت علامات الانبهار والتعجب بينما جلس حمدان شيخ خفراء أملاك البيه الذى حضر لتوه فى ذهول وانبهار وبأعلى صوته صاح " رحم الله زكي لقد مات الآن – رحمه الله – وحيداً فى غرفته التى كان يسكنها بلا أنيس ولا جليس فلم يتزوج أبدا " .

قهقه الحاضرون وانصرفوا .

◇

الثمــرة

أصـابتـها بعـض الأوجـاع والعقـد فأبوهـا رجـل بخيـل مقتـر يعمل مزارعاً ، يقوم على زراعة بعض قطـع الأرض المتنـاثرة وأمها " تبيع الطيور كما تربيها فى مزرعة ريفية بسيطة كـلا الأبوين حريص على جمع المال والنقود مما جعلهما متنـافرين كقطبى الكهرباء لا يجتمعان حتـى تدب الخلافات والمناوشات والحسـابات بينـهمـا ولا يفترقـان إلا وكـل يريـد ألا يـرى الآخـر مرة أخرى .

كانـت " نـوال " مـع أخواتهـا الأربعـة تـألف حيـاة الخـلاف والصـراع والمناوشـة مـع مـا ظهـر عليـهـا مـن بعض الأنوثـة الصارخة ، أفرغت جعبتها فـى الدراسـة والتعليم حصلت علـى شــهادة جامعيــةجعلتها تحصــل علــى وظيفــة فــى الشــئون

الاجتماعية ، أصبحت محط أنظار الراغبين فى الزواج من بعض زملائها الذين يعملون معها ومن بعض المترددين على مكتبها لإنجاز مهامهم قبلت واحداً منهم فارس أحلامها أتمت مراسم الزواج بأثاث بسيط متواضع من بعض النقود التى جمعتها من راتبها البسيط إضافة إلى راتب زوجها .

أنجبت صارت الحياة بطيئة رتيبة بدأت تتوالى عليها الضغوط والأعباء انفجرت صارخة كثيرة المناوشات والمضايقات والإزعاج تفجرت فى داخلها طريقة ألام ومعاملاتها ، فتحولت حياة " ناصح إلى جحيم لا يطاق.

اشتعلت الخلافات بينهما وازدادت قوة وقسوة .

بدأ " ناصح " يفكر فى طلاقها والخلاص منها ، بات ليلته وحيداً يراجع الماضى بكل مواقفه وأحداثه ظهرت أمامه صورة الأم عند خطبتها قائلاً إذا أردت أن تخطب زوجة فأنظر إلى وجه أمها عند خطبتها كي تراها أمامك على حقيقتها بلا رتوش .

◇

الدفء

دعته لزيارتها فى بيتها فى العاصمة التى تعج بالحركة والنشاط فى قاهرة المعز لدين الله الفاطمي فوعد " نبيل " بزيارتها فى القريب العاجل ، تزوج من شيقتها الصغرى فلم تحضر مراسم الزواج نظراً لسفرها مع زوجها خارج مصر ، فقد كان يعمل فى دولة خليجية ، عاد منها وهو يحمل فى جسده كماً هائلاً من الأمراض والعلل كلفته المتاعب والمعاناة والألم علاوة على المصاريف الباهظة كما عاد يحمل فى حوزته عشرات الآلاف من الجنيهات المصرية مع بعض العملات الأخرى ، تعرفت على نبيل عندما جاءت لزيارة أختها وتهنئتها بزواجها منه، كان وسيماً متألقاً ، يمتلئ حيوية ونشاطاً ، أظهرت تعاطفها معه واهتمامها به ، أحسَ ببعض

الدفء الذى كان ينشده منذ زمن ، فقد ماتت والدته منذ فترة ثم مات والده ، فتشبث بتلك الأسرة التى تزوج ابنتها ، كي تمنحه دفء الأسرة ، بعد أن اقترب منها من خلال عائلها الذى قام على إدارة المحل الذى تركه والده ، فأحس بحاجته إلى عثمان لإدارة المحل كما أحس عثمان بحاجته إلى تلك المصاهرة لحاجة فى نفس يعقوب .

صحا " نبيل " من نومه مفزوعاً على نداء الهاتف الذى أفزعه ..

- من ؟!

- عفاف ؟! .. عفاف من ؟!

- ألا تعرفني . ؟! .. عفاف عثمان

- زوجي مريض يحتضر .. انقذوني .. أغيثوني .

- لا تبلغ والدي ووالدتي خوفاً عليهما من المفاجئة .

- سأحضر حالاً .. !!

بدأ يستعد للسفر وحده ، وصل عندما كانت الشمس تودع العاصمة فى عجل بعد أن ضربتها بعض الغيوم الداكنة التى جعلتها تنظر إلى العاصمة فى استحياء وخجل تسترق النظر ثم تعود إلى العبوس والإكفرار .

عاد نبيل مع عفاف من المستشفى عندما انتصف الليل

تصحبه نسمات الجو الباردة تاركين خلفهم عوض " يرقد على السرير الأبيض فى المستشفى فى غرفة العناية المركزة قدم نبيل الأعذار والحجج التى سقطت فى بئر سحيق من الإصرار والعناد والرفض ، فوقع فى فخ الرضا والإقناع ساعد على ذلك زخات المطر التى بدأت تعطر الجو بقطرات الماء لفصل الشتاء الذى احتجبت أمطاره فى هذا العام ، أغمض عينيه مستسلماً لنوم عميق ، أحس بدفء فى فراشه ، مع سيل من القبلات فى شوق ولهفة ورغبة .

استيقظ عند الفجر على صوت طفلها ينادي .. فهب من سريره يحتضن الطفل فى عطف وحنان .

◇

الطنبـــور

عم " علـى " رجـل طيـب صـاحب تـاريخ طويـل وحضـور زاعق ، قادته شقاوتـه أيام صباه إلى حادث قطار فقد على إثره ساقيه حتى الركبتين ، فآثر أن يذهب بعاهته إلى قريـة تقـع فـى حضن الجبل لا تصل إليها مياه النيل إلا بالكـاد وفـى بعض أيـام السنة ، حتى يعمل على طنبوره الـذى اشـتراه ، دائـم الابتسـام والضـحك كثيـر النكـت والقفشـات ، لا يحمـل فـى داخلـه سـوي الرضـا والقناعـة ، كـان يعمـل فـى الحقـول قبـل حادثـة القطـار ، فتحول بعدها إلى العمل على الطنبور الذى اشـتراه بعد مـا بـاع قطعة الذهب اليتيمة التى قدمـها لعروسه أم هاني فـى الشبكة ، احترف العمل على الطنبور لرى الأراضى التى تكلف جهداً فـى الرى والتى تقع فى آخر الترعة الـهزيلة التى لا تسترها المياه فيرى الناس قاعها على مدار العام بعد أن انحسرت مياه النيل والفيضان عنـها وخانـها السد العالى عاش يكافح من أجل هاني ولده الوحيد الذى سماه عمدة القريـة عندما بشروا والـده علـى . وهو يعمل علـى طنبـور العمـدة يومـها جـاء اسـم هـاني علـى لسان العمدة فأصبح كالأمر السامي الكريم الذى لا راد لأمره .

" عزيزة " زوجة هادئة الطباع تبتسم لزوجها وتضاحكه تمسح عنه عناء العمل كما تداعب ابنها الوحيد " هاني حتى أصبح حلم الأيام دخل مدرسة القرية اهتم به أبواه كما أهتم به كل من فى المدرسة لشراء ود عم " على " الذى يسعد أرض القرية بطنبوره وجهده نجح هاني فى كسب سنوات الدراسة والانتقال من صف إلى صف وهو مازال يذكر ثوبه الجديد الذى اشتراه العمدة عند دخوله المدرسة هدية ناطقة بحب العمدة وحفاوته به الحاجه " لواحظ " زوجة العمدة امرأة سخية تحب العشرة وتكسب ود الناس رزقها الله بقطعة أرض كبيرة ورثتها عن والدها تحتاج إلى زراعتها ووصول الماء لها رزقها الله بثلاث بنات تزوجن خارج القرية أصابهنّ العقم إلا أن العناية الإلهية أدركت الحاجة لواحظ بعد عودتها آخر مرّة من الحج فأنجبت البنت الرابعة سماها والدها العمدة هنية، كانت وردة بيت العمدة وبسمته منحها العمدة والحاجة لواحظ كل عناية واهتمام تقدمت فى دراستها حتى حصلت على الشهادة الإعدادية أصرت على اتمام الدراسة الثانوية رفض العمدة ذلك بينما كانت الحاجة لواحظ بين نارين أو بين فكين تريد إتمام دراستها ولا تعصى أوامر العمدة . ابن عمها الذى تزوجها عن حب ورغبة فى أن يضم ميراثها إلى أرضه فلا تخرج إلى غريب عن العائلة حفاظاً على ميراث العائلة وتراثها المجيد .

بينما هاني حصل على الثانوية العامة وقد أوراقه للتنسيق

فدخل كلية الزراعة وأصبح محط انظار أهل القرية ومحل ثقتها فى بعض الإرشادات الزراعية التى كان يتعلمها من دراسته دخلت " هنية " إلى المرحلة الثانوية بعد أخذ وَرَدْ بين الحاجة لواحظ والعمدة " عبد الرازق " فاجتاحت إلى بعض الدروس وبعض الأسئلة التى تعانيها نتيجة شرط والدها المبرم بعدم إعطاء الدروس الخصوصية والعودة إلى المدينة مرة أخرى لغير المدرسة .

هاني أصبح محط الأنظار لمساعدة هنية وفك بعض المسائل لها .

كانت البداية عن طريق الحاجة " لواحظ " وعن طريق والدته " عزيزة " التى كانت تفرح لذلك فتعده نوعاً من الكرامة والمحبة والألفة بين الحاجه لواحظ وعزيزة .

اقترب امتحان نهاية العام فأصبحت هنية فى حاجة ماسة إلى المساعدة والاهتمام بدأت هنية فى البكاء فظهر عليها الحزن والأسى فأهمت صدر العمدة فأشفق عليها وطلب من هاني زيارتهم فى المنزل لشرح بعض الدروس لهنية تردد هاني فى البداية ثم وافق على ذلك . دخل هاني بيت العمدة فوجد الحفاوة من الحاجة لواحظ ومن العمدة ومن هنية ، نجحت هنية فأصبح ذلك النجاح وساماً على صدر هاني ورفع شأنه عند العمدة وزوجته الحاجة لواحظ مما جعل عزيزه وعم " على " أصحاب حظوة كذلك وعندما حصل هاني على

بكالوريوس الزراعة عرض عليه العمدة الإشراف على زراعة أرض الحاجة لواحظ طلب هاني من العمدة بعض شتلات الموالح ودق طلمبة مياه جوفية فاستجاب العمدة كذلك بدأت الأرض تثمر فرحت الحاجة لواحظ كما فرح العمدة بذلك.

بدأ دبيب الحب يسرى فى قلب هنية كما تسرى الدماء فى عروق الإنسان وبدأت علامات الاستحسان تظهر على هاني كما بدأت موجات الإستلطاف تغمر قلبه وعقله وفكره هنية أصبحت قاب قوسين من امتحان الشهادة الثانوية للمرة الثانية فازداد طلبها على هاني كما أزداد تعلقها به خطبها هاني حتى يصبح لدخوله منزل العمدة سببا وحجة .

تم الزواج بعد امتحان الثانوية العامة مباشرة نجحت هنية يوم أن كانت نتيجة التحليل تعلن حملها .

فرحت هنية بالخبر ، فجرت لتعلن فرحتها على أمها وعلى والدها العمدة ، سقطت هنية على الأرض ، أصيبت بالنزيف ، حملوها إلى مستشفى المدينة ، فقدت جنيها ، حمد الجميع ربهم على ذلك .

ذهب هاني لوالده ولأمه عزيزة وانحني يقبل الطنبور الممدد على الأرض أمام المنزل .

◇

جرس الباب

عادت " هدي " من الجامعة مع أذان العصر بعد صباح حافل بالمتاعب والمعاناة فقد أصبحت الدراسة عبئاً ثقيلاً وجهداً مكلفاً ، لا يناسب طبيعة الأنثى ولا طاقة تحملها ولكن التعليم الجامعي ذو بريق خلاب وروعة الدراسة وقاعات المحاضرات لها مذاق خاص ، وهذه الكوكبة من الأساتذة ومناقشاتهم وأفكارهم ذات معان كثيرة واضحة تخلصت هدي من ثيابها التى تلبسها بعد أن قرأت الرسالة التى تركتها أمها على المنضدة الموضوعة فى المدخل للزينة تفاجئ القادم ببشاشتها ولونها الذهبى اللامع فعرفت أن الأسرة جميعها ذهبت لتناول الغذاء عند شقيقتها التى تسكن فى الحي الشمالى من المدينة التى تقيم فيها الأسرة .

تناولت بعض قطع الحلوي ثم اتجهت إلى الحمام لأخذ حمام فاتر حتى تتخلص من التعب أكملت خلع ملابسها تماماً ثم وقفت أمام المرآة تناظر جمالها وبشاشة وجهها وجمال

قسمات وجهها وحسن تقاطيعها التى تجبر من يراها إلى النظر إليها مرات ومرات حتى تغيب عنه فى عالمها السحرى الخلاب .

سرحت بخيالها لحظات وهي تحمل ثيابها التى تلبسها بعد هذا الحمام فى هذا القد الجميل وهذا الجسد الذى يفيض أنوثة وجاذبية ودلالا عاتبة على ابن عمها ناصر الذى يتكبر على خطبتها رغم حبها له منذ أن كانا صغيرين يلعبان معاً فى حديقة جدهما فى القرية التى تحتضن النيل فى حنان ورفق ناشرة أشجارها الممتدة على شاطئ النهر تنحني لتقبل صفحته مجددة عهدها بالحبّ والعشق والهيام. محدّثة نفسها عن أي الطرق التى تجذبه نحوها .

صحت من خيالها على جرس المنزل يعلن قادما ، فتقدمت تلبس قميصاً داخلياً شفافاً نحو باب الشقة تسأل من القادم .. خالد.

سأفتح الباب وأجرى لدخول الحمام يا خالد .

أنتظر قليلاً حتى اختفى

لا مانع من ذلك .

دخل خالد مع صديقه " عبد الرحمن " زميله فى العمل والدراسة فزميله عبد الرحمن حاصل على مؤهل جامعي فى الشريعة هادئ الطبع تظهر عليه علامات التقوى والخشوع

يعمل مدرساً للعلوم الدينية فى إحدى المدارس فى المدينـة مـع خالد .

دخلت هدي إلى الحمام لكنّ خالد احتاج لبعض الأشياء فى المطبخ فنادي على شقيقته لمعاونتـه ردّت عليـه هدي محذرة من عدم خروجه من الطبخ حتى تحضر له المطلوب.

خرجت هدي ترتدي ملابسها الداخلية أحضرت ما طلبه خالد ثم أسرعت إلى غرفة الاستقبال المواجهة للمطبخ ثم أغلقت باب الغرفة بسرعة تنحنح عبد الرحمن منبّهاً لها فخرت مغشيا عليها ارتبك عبد الرحمن غارقا فى بحر من الحيرة ماذا يفعل قام بستر جسدها بعباءته التى كان يحملها على أكتافه ثم نادي على خالد طالباً منه المأذون ووالده بعد أن خرج من الغرفة كي تخرج هدي لترتدي ملابسها حضر المأذون وتمت مراسم الزواج على عبد الرحمن مباركاً خالد ذلك الزواج السعيد .

◇

الرحيـــــل

عاد عصام مـن المدرسـة يحمـل حقيبتـه السـوداء المملـوءة بالكتب الدراسية الجديدة لعامه الجديد تملؤه الفرحة بملابسه الجديدة ناسياً ميعاد سفر والده شعبان مع زوج أخته الكبرى " سناء " إلى الأردن للعمل هناك قفز إلى خاطره تلك الأيام المعدودة التى قضاها والده بينهم كما تذكر . أمه " هانم " التى تحمل كل هموم الأسرة على أكتافها تتطلع إلى يوم قريب تتخلص فيه من مسئوليتها ومن هموم المنزل والأولاد وسفر شعبان الذى يملأ عليها البيت فراغاً وقلقاً ومسئولية .

اجتمعت أسرة شعبان لوداعه هو وعوض زوج سناء ، ابنة شعبان الكبرى .

شد شعبان على يد عصام وهو يقول لزوجته هانم وإبنته سناء ضاحكا عصام فيه البركة تحرك الركب بسيارة الأسطي محروس شقيق هانم متجهين إلى مدينة نويبع .

فرغ الأسطي محروس من إنزال حقيبتي السفر وتوديع

شعبان وعوض أمام الميناء قائلاً لشعبان :

شد حيلك ربنا يقويك خلينا نشترى السيارة التى وعدت بها أنا تعبت من الشغل على سيارات الأجرة ومن أصحابها.

رزقى ورزقك البركة إن شاء الله .

عاد محروس إلى القرية مطمئناً الأسرة على وصولهما إلى الميناء بالسلامة .

هانم بدأت رحلة حياتها وحيدة تسيطر عليها الهواجس إلا من حديث عواطفها وأشواقها ووحدتها القاتلة التى فرضتها عليها الأيام ، كما فرضتها لوازم الحياة والأولاد .

عصام أحس بدفء الأبوة الذي كان ينعم به قبل سفر والده وغيابه عن المنزل ، شعر بإحساس غريب فبدأت علامات الهدوء والعزلة على عصام والتخاطب مع والدته فى أدب جم وطاعة ظاهرة .

أحسها أهل بيته كما أحسها كل من حوله .

انكب عصام على دراسته للحصول على الثانوية العامة مبتعداً عن بعض الدروس الخصوصية محاولاً إدراك ما فاته قامت هانم من نومها صارخة فقد جثم على صدرها كابوس طويل على صوت عصام يحمل رسالة من والده قرأ الرسالة فاطمئن قلب هانم على المسافرين وأخبارهم .

شرد ذهنها إلى بيت سناء الذى تعلمه عوض بدلاً من ذلك البيت البسيط المستأجر وراحة بال سناء ، مضت خمسة شهور كاملة والرسائل تأتي منظمة دون انقطاع وعصام غارق فى دروسه جاءت رسالة من شعبان تحمل طابعاً بريدياً عليه صورة الكعبة المشرفة بدأت علامات الاستغراب ترتسم على وجه عصام ماذا حدث ؟! .

حلّ أبو خالد ضيفا كريماً على الرجل الذى عنده شعبان وعوض فى مدينة العقبة الأردنية قادماً من مدينة تبوك السعودية فرأي أعمال شعبان وبراعته فى سقف المنزل الذى استضافه فأخذه العجب وبدأ يفكر فى مصاحبة شعبان للعمل معه عرض على شعبان العمل فى مؤسسته .

فرش لشعبان حصيراً واسعاً من المغريات والمكاسب كشريك حرك هذا العرض رغبة فى نفس شعبان كانت سارية فى أعماقه ووشائجه .

طلب شعبان مهلة للتفكير ولكن كيف يترك أبو مازن الأردني الذى يعمل معه منذ عشر سنوات وكيف يفاتحه فى هذا الموضوع الشائك ؟

وكيف يواجه عوض بذلك ؟

استغرق شعبان فى تفكير عميق وغاص فى بحر القلق والتوتر لم ينم ليلته شارداً بذهنه فى بحار من التساؤلات

والاسنفسارات .

هداه تفكيره إلى سؤال شيخ المسجد عن صلاة الاستخارة تعلمها وقام بها أحس عوض القلق الذى ظهر على شعبان فسأله عن مصدر ذلك القلق وتلك الحيرة التى ارتسمت على وجهه .

حاول شعبان إخفاء الأمر عن عوض بادئ الأمر ثم صارحه.

ابدي عوض استعداده لتقبل الأمر على أي وضع فالمسألة كلها أرزاق والزرق بيد الله وحده .

صلى شعبان الاستخارة مرة أخرى بعد صلاة العشاء فرأي فى منامه عجباً فقد رأي أنه يلبس ملابس الإحرام مع عوض فى موكب غفير وأبو مازن يودعه .

قام من نومه مكبراً .

بدأ فى إجراءات السفر إلى السعودية بعد انفراج الأمور.

استقبل شعبان العمل بهمة ونشاط فأخذ شهرة واسعة فى أعمال الأسقف والديكور وإلى جواره عوض رفيق دربه، هبت نسمات الحج المباركة تملأ الحياة من حوله ، أدي فريضة الحج مع عوض قابلهما صاحب الموسسة بحفاوة وتكريم .

انهالت على شعبان عروض كثيرة من بعض المؤسسات

للعمل لديها مع عوض رفض الرجل تلك العروض أحس بذلك صاحب المؤسسة وشارك في ذلك ، مما زاد حرصه عليهما والتمسك بهما حصل عصام على شهادة الثانوية العامة . ودخل الجامعة فرح شعبان وشعر بارتياح عجيب اشتاق شعبان للقرية ، عزم على السفر فبدأ يعد عدته . مع عوض لقضاء إجازته فى مصر ، حمل متاعه مع رفيق دربه عوض يطير قلبه من الفرح توجها للميناء ركبا العبارة السلام ٩٨ ".

أظلمت السماء واكفهّر الجو وحانت لحظة الصاعقة انقلبت العبارة فى مياه البحر فى لحظات خاطفة وفى ظروف غريبة أشبه بالأساطير والخرافات فبدأ الصراع والصراخ كما بدأت الكارثة والنهاية كلاهما وجهان للحظة خاطفة ، بدأ شعبان يصارع الأمواج والحياة متشبثاً بيد عوض بين جذب ورد وتعلق بالحياة وغياب عن الوعي كل منهما يحاول انقاذ الآخر وفدائه ، انتشلتهما إحدي طائرات الانقاذ التى انتشرت فى سماء الكارثة وبعد أن أفاق الجميع من هول الصدمة وفداحتها كانا غائبين عن الوعي .

حضر عصام إلى سفاجه مع والدته هانم وأخته سناء لاستقبال شعبان وجثمان عوض فى ألم وحزن وبكاء .

◇

الوصيــــة

" سـهير " امـرأة جميلـة ذات قـدٍ ممشـوق وقـوام فـارع وأشفار جميلة وعين مكحولة صنعتها يد القدرة تهتم بجمالها وأنوثتها ذات رائحـة جميلـة تختارها بعنايـة وذوق فريد تعمل فى إحدي شركات الأدوية التى تنتشر فى أحد شوارع القـاهرة ، حصلت على بكالوريوس الصيدلة ، فجمعتها الوظيفة مع زميل دراستها " سامح " الذى ربطته بها علاقة حب عفيفة طاهرة تزوجت بعد حصولها على شقة تحرّكت أشواقها نحو طفل يملأ عليها حياتها وبيتها من سـامح مضى على زواجها ثلاث سنوات كأنها الدهر قطعت خلالها شـوارع القـاهرة جيئـة وذهاباً فى زيارة الأطباء فلم تفلح محاولاتها مع زوجها سـامح فراحت تسر ما أفضى بـه بعض الأطبـاء علـى عقـم سـامح فاشتعلت نـار الغيرة مع نـار الغيظ وتفجر بركان الأمومة فى داخلها فتحولت الحيـاة إلـى نـار مشـتعلة تفجـرت بالخلافات والمتاعب والمضايقات ركب سامح سيارته وغاب عن زوجته

يوماً كاملاً بعيداً عن مصدر الإزعاج والقلق تشتعل فى داخله عوامل أقوي من المجهول ومن غده مع عوامل الكراهية والنفور من زوجته التى طعنته فى حياته وشبابه ورجولته، " سهير احتاجت إلى بعض السلع التى نسى سامح احضارها فى هذا الجو العاصف فطرقت باب جارتها فى الدور الأرضى من المنزل مستعينة بزوجها " فرج " فى احضار ما تحتاجه شاكرة حسن تعاون الجيران وأهل المنزل الواحد .

رحبت زينب بذلك .

فهى امرأة قروية ساذجة تتمتع بجمال فطرى موهوب تتصرف بفطرتها وسجيتها لم تعرف طباع المدينة ودروبها ولؤم نسائها ودهائهن تزوجت من ابن عمها فرج الصعيدي صاحب الملامح الصارمة الطباع الجافة التى لا تعرف اللوع أو المدارة أو التشرنق داخل صورة باهتة ، تحركه الشهامة والمروءة وحسن الطاعة والوفاء جاء مع زوجته إلى القاهرة محاسباً فى وزارة الداخلية فتعلم عن قرب عوامل الضبط والربط فزادته صرامة على صارمته الصعيدية أنجب من زوجته ثلاثة أطفال أكبرهم فى الصف الثانى الابتدائى سماه بهنساوي على اسم جده .

عاد سامح إلى حياة المناوشات مع سهير فما تلبث أن تنتهي حتى تبدأ ترك المنزل غاضبا بعد مناوشة طويلة ركب سيارته هائما على وجهه مسرعاً فى عصبية قادته إلى حادث

مروع دخل على إثره المستشفى فى غيبوبة استمرت أسبوعاً كاملاً ثم فارق الحياة .

ترددت سهير مستعينة بزينب لتدبير أمورها فى منزلها وبمساعدة فرج فى زيارة سمير والعودة معها مما ساعد على حصول الألفة وسقوط الكلفة بينها وبين فرج فى هذه المرة .

انتهت مراسم العزاء فى قريتهما التى تبعد مسافة بسيطة عن القاهرة .

بدأت جذور الصداقة بين سهير وأسرة فرج تمتد إلى مسافات أطول وأكثر وزينب تنقل كل أسرار بيتها وخصوصياته أكثر وأكثر وفرج مجد مخلص فى تقديم طاعته ومساعداته حتى أصبحت سهير قريبة من مواقع الأسرار والقلوب . زاد من ذلك كثرة الهدايا لهم فرحت زينب بذلك الكنز الذى فتح أبوابه على مصرعيها تحركت داخل سهير براكين مختلفة تحاول شد بعضها البعض فعاشت تعاني صراعاً داخلياً يقض مضجعها ويسيطر على أعصابها وكوامن أنوثتها التى تنادى بعنف استجابة لنداء الفطرة وكبحاً لجماح غريزتها التى تصرخ من داخلها بعنف وقسوة ، وعاطفة الأمومة المقهورة فى كيانها وبين جنبيها وفى حياتها . وحب التملك الذى فقد الرجل والصديق والأب والزوج ، وأنانيتها التى تملى عليها حب السيطرة والاستحواذ على رجل يرضى كبريائها ويملأ جوانب الأنثى التى تحتاج وجمالها الذى

يتساقط يوما بعد يوم إلى رجل فى بئر سحيق ووحدتها القاتلة التى جعلتها تتلوي فى فراشها الخاوي فى ليل الشتاء الطويل وتناجي مخدعها وخاتم خطبتها الذى فقد صاحبه وراعيه وطمع الناس من حولها فى جمالها وأنوثتها ومالها دون دافع من حب أو هيام أو شعور سوي الحاجة والرغبة والمال تفجرت هذه البراكين وغيرها فى داخلها فتفجرت عواطف الأنوثة تحاول الإيقاع بأقرب رجل يعيش قريباً منها يمتلئ رجولة وشباباً وحيوية لترمي شباكها نحوه لاصطياده والوقوع فى حبالها وشباكها زاد قربها أكثر وأكثر من زينب زوجة فرج واعتمادها على فرج فى تصريف بعض شئونها مترددا عليها فى شقتها، تظهر أمامه بملابسها الشفافة الغالية وكأنها تسلط عليه مفاتنها العارية وأنوثتها الصارخة وعطشه الذكورى المتوقد ودلالها الأخاذ المسترسل جاءت عطلة الصيف بأحلامها وأمانيها ، فتحرك لعاب زينب وأولادها لقضاء العطلة فى بلدهم والتمتع بها فى أحضان الطبيعة الفاتنة التى ألفتها زينب وعشقتها وتربت فيها منذ نعومة أظافرها سافرت زينب وأولادها علىأمل أن يلحق بهم فرج بعد انقيام بإجازته السنوية بعد أن أضناه الشوق وألهبه الحنين إلى أهله وقريته وأمه التى تعيش بمفردها فى المنزل بعد موت أبيه منذ أربع سنوات .

أرسلت سهير قطعة قماش غالية الثمن لأم فرج داعية لها أن تأتي بعد انتهاء العطلة لقضاء فترة بيننا فرح فرج بهذه

الهدية وهذا الرجاء الطريف موصياً أولاده بعدم مضايقة أمهم وجدتهم .

عاد فرج مع سهير فى سيارتها بعد وداعهم بدأت متاعب الوحدة ومشاعرها تسيطر على فرج كما تسيطر على سهير يتذكر كل منهما وصية زينب له تجاه الآخر فالمنزل خالٍ إلا منهما بأدواره الثلاثة وشققه الثلاثة .

سهير دعت فرج للعشاء معها والتشاور فى بناء قطعة الأرض التى ورثتها عن زوجها سامح لبى فرج الدعوة دون تردد ، دخل عليها فرج فوجدها فى جلوة العرس فاتنة رائعة .

حرك فى داخله خسارة هذه الأنثى الفاتنة ألا يكون لها زوج وألا يكون لها ولد، اعتراه شعور غريب بات ليلته فى مخدعها بعد أن أصبح زوجاً لها منفذاً وصية زينب !!

◇

المخــاض

الشيخ يوسف مأذون القرية له هيبته وله حضور ووقار تعلم فى الأزهر فنال قسطا بسيطا منه حتى أصبح صاحب مجلس وفتوى ، يحترمه أهل القرية وزاده هيبة كذلك البنيان الجسدي الفارع والوجه الأبيض المستدير، والجبهة التى تتوجها عمامة ناصعة البياض ، يتلمس أهل القرية محبته ورضاه ، يجتمع شيوخ القرية حوله فى مجلسه الموقر فى المضيفة بعد صلاة العصر يستمعون لقصصه وأحاديثه وكأن على رؤوسهم الطير تجذبهم قهوته التى تفوح رائحتها كما يفوح مجلسه بالوقار والهيبة اجتمع الناس حوله ، بدأ يحدثهم عن الزواج والطلاق والعدة والناس صامتون يستمعون ويتمتعون بالحديث .

منزل الشيخ يوسف تطل نافذته الشمالية الوحيدة على بهو المضيفة فهي وسيلة الاتصال بين منزل الشيخ والمضيفة .

" محروس " شيخ خفراء القرية صاحب الشوارب المفتولة والوجه الأسمر والعضلات والجسد الطويل ألقى السلام وأخذ مجلسه بين الجالسين الذين أفسحوا له المجلس وهو يقول الله يخلصني من بديعه بنت عزيزه نكّدت علىَ عيشتى يا عم الشيخ يوسف أنا عاوز أخلص منها وأطلقها .. خلصني منها يا عم الشيخ يوسف .

فزع الجميع وعلى رأسهم الشيخ يوسف ورددوا على لسان واحد .حرام عليك يا راجل .

دي صاحبة عيال .. تروح فين بعيالها دعيالك غلابة .. وأنت قاسى على أمهم .

دي مَرَةْ جابت لى العصبى .

يا ناس قلتها هاتى لى الغدا قالت لما البت ترضع رحت فاقعها علقه وجاي على هنا .

تنحنح الشيخ يوسف وقال أبغض الحلال عند الله الطلاق يا محروس .. هداك الله لا تصبر على الجوع وتريد الطفلة الرضيع تصبر على الجوع وقلب الأم يتمزق على نبرات الصراخ والصياح على طفلتها الجائعة خلاص يا محروس بلاش كلام فارغ .

ارجع يا راجل صالح زوجتك ولم بيتك وعيالك جنبك ربنا يهديك.. قف يا شيخ عوض مع محروس وحاول تراضى

الإثنين بارك الله فيك .

شرب محروس فنجان القهوة وأخذ الشيخ عوض مودعاً الجلسة فى سلام .

بينما حدث هرج ومرج فى بيت الشيخ يوسف وصوت صراخ زوجته فرحانه يخترق مجلس الشيخ يوسف فعرف أنها تعاني آلام المخاض فرحانه أم لثلاثة أولاد وهي فى الثلاثين من عمرها ذات طول فارع ووجه مبتسم ومطيعة صافية رزقها الله حسناً وطبعاً صافيا فكانت نعم الزوجة لزوجها ونعم الأم لأولادها صاح الشيخ يوسف فى ولده الأكبر حسان آمراً أن يذهب لإحضار خالته أمينة من بيت خاله فتحى كي تقوم على رعاية أمه ضج بيت الشيخ بوصول المولود (منصور) كما أطلق عليه هذا الاسم الشيخ عوض عند عودته من بيت محروس .

جاءت أمينه ومعها الزغاريد تزف البشرى بقدوم المولود الجديد الذى زاد بيت الشيخ يوسف فرحاً ونهجه .

قامت أمينة على خدمة الشيخ يوسف وأولاده بفرح وبهجة.

أخرج الشيخ يوسف دفتر الطلاق وطلق زوجته فرحانه بشهادة شاهدين من المجلس بعد انصراف باقى المجلس فى اليوم السابع والأربعين لميلاد منصور عندما تحركت عواطف

الشيخ يوسف نحو أمينة التى أبدت الدلال فساقته مفاتنها إلى طلاق شقيقتها .

انقضت عدة فرحانه وهي تعلم ما أصابها دون أن تحرك ساكنا سوي الصبر والاحتساب بعد أن أخذت أمينة مكانها فى بيتها بعد الزواج انعقد المجلس فى المضيفة بعد صلاة العصر فجاء محروس يشتكي زوجته بديعة مرة أخرى ويقدم التهنئة للشيخ يوسف على المولود والزواج السعيد .

أمـــــــل !!

فاتها قطار الزواج ، فلم تكن على قدر كبير من الجمال والفتنة. فهي نحيفة الجسم معروقة الوجه واليدين ، بارزة العظام والمفاصل ، نالت حقها من التعليم والتربية حتى حصلت على شهادتها الجامعية من إحدي الجامعات الإقليمية بمصر حريصة على أن تتزين وأن تظهر بعض مفاتها القليلة الباقية من عدوان الزمن عليها ومن تباريحه، ظلت تنتظر فارس أحلامها بجواده الأبيض ، وترسم صورته فى خيالها وتتمني يوم قدومه بفارغ الصبر .

تقدمت سنوات عمرها وهي ما زالت غارقة فى أحلامها الوردية الناعمة وفى انتظارها الطويل حتى علتْ وجهها تجاعيد الشيخوخة التى نقشتها آثار المساحيق وأدوية وعقاقير التجميل الزائفة التى تروّج لمنتجيها أكثر مما تروج للجمال والفتنة ، فطاش خيالها وفرت أحلامها وخارت أمانيها .. فماذا تصنع ؟!!

فكرت طويلا وسرحت بخيالها وفكرها مرات ومرات .. سألت نفسها.

كيف أنجب ؟!..كيف يكون لى ولد ؟! .. إنها قضيتي وحدي!!

كانت تميل إلى القراءة تملأ فراغها بالكتب وبالصحف والمجلات ساعدها على ذلك تعليمها ووحدتها .. إنها وحيدة أبويها .. فوالدها رجل موظف مرموق يعمل مديراً فى إحدي الدوائر الحكومية فى مدينتها التى تعيش بها قريبة من منزل العائلة أماأمها فكانت تعمل رئيسة ممرضات فى مستشفى المركز تتمتع بطيب عشرتها وحُسْن هندامها ومظهرها مع رقة حديثها وعطفها على كل من حولها .

ولكن " عفاف " ابنتها لم ترث منها إلاّ الإصرار والعناد علاوة على لين الجانب والتحدي . تربت والدتها يتيمة الأبوين!!

رباها عمها القروى الساذج الذى لم يكن يدرك من دنياه غير المأكل والمشرب والعمل فى حقول القرية كواحدٍ من الأجراء البسطاء فى تلك القرية القريبة من هذه المدينة فساقتها أقدارها لتعيش مع هذا العم كواحدة من بناته الأربعة ، فكفلها بعد موت أبيها بعد أن لحقت به أمها فلم يمض عامها الخامس حتى أصبحت يتيمة الأبوين أصر عمها على تعليمها رغم حرص زوجته على حرمانها من التعليم بحجة مساعدتها فى أعمال المنزل .

لكنها أصرت على أن تتعلم .

دخلت مدرسة التمريض ثم أنهت دراستها وتدرجت فى عملها حتى أصبحت رئيسة التمريض فى هذا المستشفى .

عكفت " عفاف " على القراءة .. ساعدتها والدتها ووالدها على ذلك كثيراً .. اشترت لها القصص والروايات لإدخال السرور والبهجة على نفسها .. لم تقتصر على ما عندها من الكتب وما يشتريها والداها لها ، فبادلت القصص والروايات وغيرها من الكتب مع زميلاتها وجاراتها.

امتلأ عقلها ، نمت أفكارها ، بدأ خيالها يتحرك نحو الكتابة والتعبير عما يلم بها من داخلها وما يسيطر على مشاعرها .

أمسكت القلم مرات ومرات حاولت الكتابة .. عن أي شئ تكتب؟!

تدفقت مشاعرها نحو الأمومة بفطرتها كأنثى تثور فى داخلها أحلام المرأة وأمانيها ، كتبت عن المرأة وعن أحاسيسها وما يفيض داخلها من مشاعر وانفعالات ... اندفعت بغير وعى وبغير هوادة ..

جاءها الكتاب الأول عن الرجل والمرأة والحب ، خفق قلبها بصدق حملته فى يدها ولوّحتْ به فى حفل تكريمها واستلام الجائزة طلب يدها المسؤول عن قصر ثقافة المدينة .

رحبت به فى بيتها مع أسرتها .

مدت يدها لهذا الرجل : هذا ولدي " أمل "

◇

وجهان لعملة واحدة

جميلة فاتنة جاءت إلى المصيف فى " رأس البر " مع شقيقتها الكبرى التى سبقتها إلى بيت الزوجية فى زواج غير متكافئ .

فقد تزوجت من رجل يكبرها بخمسة وثلاثين عاما ، اشترت به حياة الراحة والدعة والهدوء والاستقرار فراراً بشرفها من براثن زوج أمها الذى ظل يصرخ فى وجهها قائلا:

لن يطول صمودك أمامي كثيراً .. فقد تزوجت أمَك من أجلك ، فكم بذلتُ من مالى ومن جهدي من أجلك أنت .. فكيف تفرين من يدي ؟ سمعت " أحلام " كل ذلك من زوج أمها فى غفلة من أمها التى انشغلت فى مراسم الاستعداد لمغادرة " أحلام " بيت أمها إلى بيت زوجها السعيد مرّت الأيام هادئة بطيئة فى رتابة وهدوء . حاول " عطية " الذى يعمل مقاولاً وتاجراً للعقارات أن يغدق على " أحلام " الهدايا والهبات كما أغدق على أمها وعلى زوجها " بهلول " الزيارات والهبات كذلك فرحت أحلام واستبشرت بذلك وأيقنت أن السماء فتحت

أبوابها بالخير والسعادة بعد طول غياب.

عرضتْ " أحلام " على أختها سهام بعد أن جاءتْ عطلة الصيف أن تقضى معها بعض الأيام فراراً من عزلتها بعد أن أنهت أيام الامتحانات الجامعية الطويلة ، فقد بدأت علامات الحمل تظهر عليها فتثقل كاهلها .. فهي على أبواب الولادة .. لعلها تساعدها فى بعض الأعمال المنزلية ، نزلت سهام على رغبة أختها أحلام وصاحبتها إلى فيلاتها القريبة التى عمرتها أحلام وزوجها لاستقبال المولود السعيد .

جاءت " سهام " تحمل كل الأحلام والأوهام معها إلى بيت أختها بعد أيام قليلة مضتْ ، جاء زوجها " عطية " يحمل بشرى الذهاب إلى مصيف " رأس البر " ولابد أن تصاحبنا " سهام " .

فرحت سهام بهذا الخبر السعيد فهي لم تذهب إلى مصيف طيلة حياتها ولم تسعد بذلك مرة واحدة قبل ذلك .

فكم سعدت بتلك القصص التى كانت تحكيها زميلاتها فى الجامعة عن الصيف وسعدت بتلك الرحلات الممتعة والليالى الصيفية الجميلة التى يقضونها على الشاطئ فى جلسات عائلية سعيدة مما حرّك مشاعرها وألهب حماسها إلى الموافقة والصّحبة.

ذهب " عطية " مع " أحلام " و " سهام " إلى رأس

البر ، فما هي إلاّ أيام وقد عاجل " أحلام " المخاض فى سلسلة من الآلام فما تلبث أن تهدأ حتى تثور مرة أخرى أقوي وأطول مما كانت جعلها تتلوَى من الألم وتصرخ فى عنف أنقذوني سأموت .. سأموت .. أنقذوني سامحكم الله .

فما هي إلا بضع دقائق كانت " أحلام " قد دخلت المستشفى لتضع مولودها المنتظر .. قضت ليلتها انتظاراً للنبأ السعيد .

قضت " أحلام " بقية ليلتها قلقة خائفة من المجهول بعد أن أخذتها سنة من النوم قبيل الفجر صرخت " أحلام " مفزوعة من ذلك الحلم المفزع ..

فقد حاول زوج أمها اغتصابها .. انتصبت فى مكانها .

اللهم اجعله خيرا .. اللهم اجعله خيرا .. يارب .

بينما " سهام " نائمة فى مخدعها استيقظت على يد غريب تتلمس جسدها فى هدوء فى تلك الظلمة الدامسة.. صرخت فى وجهه..من أنت؟!

ألا تعرفين من أنا ؟! أيتها الفتاة اللعوب ؟

عطية .. أيها الظالم المخادع .

نعم .. نعم لقد تزوجتها من أجلك !!

◇

البيت

دخلت هذه المدينة عصراً ، حينما جئت لوداع صديق عزيز مسافر ، نسمات العصر تداعب الأغصان وتلاعبها ، الطرقات ضيقة ملتوية ، بيوتها عشوائية النظام كثيفة متلاصقة كأنها مجموعة من الأيدي المتشابكة فى وحدة وانسجام فى عصر المدنية والنظام والتخطيط ، كأن المهندسين المسئولين فى غفلة وغياب وانشغال ، أعجبتى المدينة رغم زحامها وكثرة سكانها وضيق منافذها وحاراتها ومسالكها ودروبها ، كانت الأشجار تتمايل طرباً مع نسمات العصر وبسمات الربيع الشابة فى هدوء ودعة، كل شئ يبعث على التأمل والسكون ، فنحن فى بداية الربيع، أريج الربيع الفواح يملأ الجو عبقاً بطهارة المكان والزمان .

تحركت فى داخلى غريزة الشراء وحب التملك ، وجدتني

مدفوعاً نحو هذا الرجل الواقف أمام هذا المنزل الصغير المحشور بين غيره من المنازل كأنه واقف على خجل لكننى وجدت الرجل والمنزل يبتسمان لى يبعثان فى داخلى الأمل والإصرار ، أحسست بميل فطرى نحو هذا المنزل ، ساومت الرجل على شراء هذا المنزل فقد أعجبني، وغمر كياني ساعدني الرجل دفعت ثمن المنزل ، ضحكت فى نشوة وفرح ، فقد تملكت بيتا ، أسرعت إلى الخطاط صديقى حملت اللوحة الرائعة ، وضعتها بأعلى باب المنزل تحمل إسمي ومحبتى .

فتحت الباب فرحاً مسروراً بمنزلى ، دخلت سريعاً كي أستريح!!.

◇

الفجر الجديد

رحل عن القرية المتواضعة والمتاخمة للمدينة فقد كانت قريته على بعد مرمي البصر من تلك المدينة طلباً للرزق كما رحل غيره من أبناء القرية سعياً وراء العلم والمعرفة فقد أنهي دراسته الجامعية وطرق أبواب الوظيفة الحكومية ذات الأجر المتواضع الذى لا يشبع رغبة الشباب ولا يسد حاجتهم الملحة فى مجتمع دائم التغير والتحول ، سريع التطور والاندفاع ، أراد أن يجد طريقاً واضحاً إلى الأمل والطموح بعد أن ران على قلبه نوع من اليأس والقنوط ، فعزم على الرحيل فى تحد وإصرار .

يحمل بين جنبيه الأمل والحب والثقة ، تاركاً خلفه الحنين والأهل ومراتع الطفولة والألم ، ساقت الأقدار إليه عقداً للعمل فى إحدي الدول العربية ليعمل فى مجال الصحافة فقد كانت شهادته الجامعية تساعده على ذلك ، أحس فى داخله ميلاً للأدب كتب بعض القصص القصيرة .

سارت الأيام بطيئة متثاقلة ، كأنما أرادت أن تخصب أفكاره وتفرخها وتصقل موهبته على مهل ، فلم يتعجل الكتابة ولم يتعجل النشر ، انخرط فى كتابة الخبر وتصيد الأخبار ، حتى

وصل إلى نوع من الخبرة وحسن الممارسة استطاع ان يخطو بخطوات ثابتة فى كتابة القصة والمسرح ، نال بعض الجوائز فى تلك الدولة الشقيقة فى المسرح والقصة تاقت نفسه إلى العودة إلى بلده الأم، أضناه الشوق ، ألح عليه إلحاحاً شديداً فلم يتوان ولم يستطعْ البقاء والمقاومة جمع متاعه الكثير الذى كدسه أثناء الغربة جرياً على عادة المصريين الغرباء فرح أبناؤه بخبر العودة فكثيراً ما داقوا وبال الغربة ، كما فرحت زجته التى كانت تعاني من آلام الوحدة والانفراد فى سكن أشبه بزنزانة السجناء ، رحبت باستقالته وخبر عودته إلى أرض الوطن الحبيب .

بدأ محمود يفكر فى تلك الفترة من الغربة التى جعلته يتعامل مع كل من حوله بهدوء تام ونفس طويل ، فقد أدرك منذ زمن طويل أن النبت الغريب يعاني من الضعف والهزال ومواجهة المصاعب والإصفرار وتقلبات المناخ والتربة والظروف حتى يبدأ رحلة النمو والأخضرار من جديد .

عاد مع أسرته ليواجه القرية فى ثوبها الجديد ، فلم تعد تلك القرية التى تركها خلفه ذات الأزقة الضيقة والشوارع المظلمة، التى تنام بعد صلاة العشاء ، لتستيقظ على نداء المؤذن عند صلاة الفجر ، لكنه أصر على أن يعيش فى المدينة رغماً عنه لظروف تعليم الأبناء ومدارسهم رغم أن القرية عرفها الماء النقى كما عرفتها الكهرباء وأخذها التطور

سريعاً حتى أصبحت أشبه بمدينـة صـغيرة تسرع الخطي إلـى التوسع بمقدار ما تبتعد عن القرية فى صورتها الأولى .

سكن المدينة وفى قلبه أشواق إلى القريـة فـى ثوبهـا القـديم حيث الهدوء والسكينة وطهارة القلوب !!

لم يقطع صلته بالقرية رغم معالمها المطموسة ، وسحنتها المتغيـرة ، حـاول أن يـوقظ حنينـه إلـى مواقـع صـباه الأولـى وانبعثت ذكريات طفولته . امتلأ داخلـه بـالأنين كمـا امـتلأ حلقـه بغصـة كبيـرة ،هبطـت عليـه زخـات الإلهـام المتواليـة ، كتـب مجموعـة مـن القصـص القصـيرة تحمـل أفكـاره ، كمـا تحمـل أحلامه وأمانيه ، وتصور أشـواقه كمـا تصـور خلجاتـه ودخيلـة نفسـه عثر على مسابقة منشورة فى إحدي الصحف للقصـة القصيرة حاول أن يتقدم لها بتلك المجموعة التى كتبها ، حمل النسخ الثلاث المطلوبة ، أطلق عليها اسم "اشواق" عنوان إحدي قصصه داخل المجموعة رغم أنـه اسم زوجتـه ، لكنـه فوجئ بشرط وقع عليه كالصاعقة ، فقد تخطى عمره الأربعين ، لم يدر بخلده أن هذه المسابقة للشباب ؛ فكر قليلاً ، أمسك قلمـه ليضـيف اسـم ولـده أمـام اسـمه فقـد كـان يكتـب القصـة القصـيرة . مضـى علـى ذلـك شـهور ثلاثـة ، حملـت الصـحف أسماء الفائزين، لم يصدق عينيـه بـادئ الأمـر ، لقد فـاز ولـده بالجـائزة الأولـى فـى هذه المسـابقة حمـل الخبـر إلـى ولـده فـى سعادة ، هنأه بالفوز الكبير .

◇

الضحية

عشت بين أبوين بسيطين يعملان كعقارب الساعة ، كل هدفهما تربية الأبناء وتعليمهما فقد رزقهم الله أربع بنات يتوسطهن ولد ، أنهت الكبرى تعليمها الجامعي بتفوق تم تعيينها معيدة فى قسم الرياضيات فى كلية العلوم ، أحبها زميلها فى القسم تزوجا وأنجبا طفلة جميلة سمياها " هبة " على اسم خالتها الكبرى التى انهت دراستها بالجامعة قبل ولادة هبة باسبوع واحد فى كلية التجارة .

بدأت الأخت الكبرى فى البحث لها عن عريس يسترها ويحافظ عليها بعد وفاة والدها الذى رحل عن الدنيا قبل ستة أشهر فقد عاجلته الأقدار بأزمة قلبية حادة ترك على أثرها الدنيا ألحت فى طلب العريس . وذات يوم عند عودتها من عملها فى الجامعة تعرفت على سيدة فى نهاية العقد الخامس تبدو عليها علامات الهدوء والتقوى . وجدت فيها الأمومة والطيبة ، صارحتها فما فى داخلها وما تنوي عمله بالنسبة لأختها ، أسَرت " عواطف ذلك فى نفسها وطلبت رقم الهاتف بدأت أواصر الصداقة والمحبة تسرى بينهما خاطبتها بأنها

وجدت المطلوب " عريس " جامعي وسيم تبدو عليه أثار الثراء والغنى كما تبدو عليه علامات الاستهتار واللامبالاة والكسل .. لكن كل ذلك كان خلف الستار تم الزواج سريعاً ، كشرت الحياة عن وجهها الآخر بدأت هبة رحلتها مع العذاب والمعاناة بعد ولادة طفلها الأول " جهاد ".

عاتبت أختها الكبرى بعد أن طردها من بيتها مع طفلها في الهزيع الثاني من الليل . ذهبت إلى بيت الأسرة ، طرقت الباب قامت أمها مذعورة من النوم ..من الطارق ؟ ! – الضحية !!

◇

الهلوك

" الهلوك " نبات طفيلى قاتل يظهر فى مزارع الفول الشتوية يظهر نبتة واحدة ثم ينتشر يزعج الفلاحين ويحاربهم فى محصول الفول الذى يعد من أهم الأطعمة البقولية فى مصر ، يضرب جذور النبات فى قوة وصرامة وعنف ، اجتاح مزارع الفول التى يملكها جلال فهبَ الفلاحون يقاومون هذا النبات جيلاً بعد جيل دون جدوي بدأت نباتات الفول تزوى وتتساقط ويدب فيها الجفاف طلب عثمان الفار كما كانوا يطلقون عليه هذا اللقب صاحب الشارب الطويل المبروم إلى أعلى كأنهما منجلان مُعدان لحصاد الفول من جلال دواءً لمقاومة هذا الوباء المتفشى فى زراعاتهم والذى يهددهم هم وأولادهم وهذا السرطان الخبيث الذى يمتد أثره فى الأرض لمدة طويلة فرد عليه بقوله " بكره " مضت الأيام وعثمان الفار وبقية المزراعين على أحر من الجمر .

ينتظرون بكره حتى يأتي .

جلال شاب وسيم يظهر من نفسه أفعال الأكابر وأولاد الذوات يهتم بمظهره وأناقته يميل إلى الراحلة والكسل ينام

كثيراً ويعمل قليلاً فارغ النفس والعقل إلا من سهراته ونذواته وضياع وقته وماله فيما لا ينفع ، ورث ثروته عن والده البخيل الذى كان يستمتع بكنز المال كما كان يكنز المحاصيل وإنتاج الأرض ليجني أغلى ثمرة وأعلى عائد سماه على اسم صاحب العزبة القريبة من أرضهم تبركا باسمه وتيمنا بثروته تالت كوب الشاي الصغيرة التى كان يقدمها لزواره ذات شهرة عالية ودلالة على بخله وحرصه ، مات والده فحصل جلال على الثروة كاملة فبدأ يبدد فيها هنا وهناك أشترى له سيارة جديدة فارهة كما أشترى له " فيلا " فى مدينة المعادي مزقت أفضل ما ورثه عن والده ، دب الصراع بينه وبين إخوته الصغار بعد أن حاولوا أن ينقذوا من الضياع ما يمكن إنقاذه بادئ الأمر بعد أن دَبَّ التآكل والضياع فى ثروتهم التى تركها أبوهم خاصة من الديون والأعباء فكر فى إقامة المشروعات فأقام مزارع الدواجن معتمداً على عماله وبعض خالصة حتى صحا من نومه ذات يوم على هلاك كل الطيور والدواجن .

نتيجة لزيارة هذا الوباء اللعين انفلونزا الطيور الذى داهم مصر على غير موعد وعلى غير أهبة واستعداد .

فطار فكره وتحطمت قوته وتبددت ثروته فى هذا المشروع فأخذته العزة وفكر فى تعويض خسارته والوقوف من كبوته فحاول أن يجرب مشروعاً آخر .

أقام معرضاً كثيراً لبيع الملابس دون رقابة وإدارة ، بدأ

المعرض يتناقص شيئا فشيئاً ثم شبت بالمعرض حريق التهم البقية الباقية من بضاعته وتجهيزاته وألاعيب عماله الذين عجلوا بضياعه وفقده حضر عثمان الفار من القرية بحثا عن جلال فعثر عليه فى المعرض تبدو عليه علامات الضجر والقلق والتوتر والحزن والتعاسة حيّاه فى هدوء .

طلب منه دواءً للهلوك الذى انتشر فى البقية الباقية من أرضه ، صرخ جلال فى وجهه قائلا :

لقد بعتُ الأرض بما فيها من هلوك ؟!!

◇

المندل

قرية الحاجة سعاد قرية بسيطة متواضعة تنام فى أحضان المزارع والحقول وتصحو على نسمات الفجر ونداء المساجد على أهل القرية للصلاة ثم شقشقة العصافير التى تداعب أهل القرية ونسمات الصبح وتهدهدهم بصباح جديد ويوم جديد وكفاح جديد وتفرح بتلك الطبيعة الثرية وتراتيل الحياة .

استيقظت الحاجة سعاد من نومها لصلاة الفجر كعادتها ، فرغت من صلاتها على صراخ حفيظة جارتها وهي تردد " خراب بيتك يا حفيظة " يا فرحة العدوين فيَا .. يا شماته خالتى زُهرة .. شئ يحير يا ناس .. أنا حاطه ثمن البقرة هنا فى الدرج وقافله عليه راح مني فين .. يا خراب بيتي " .

انتهت حفيظة من صراخها على تجمع معظم أهل القرية رجالاً ونساء حولها مستفسرين على هذا لحدث الجلل الذى هدد أمن القرية وسلامتها ، فلم يسمع أهل القرية عن حادث سرقة واحدة بعد سرقة مواشى أبو حسين وقد عدَها أهل القرية نكاية فى أبى حسين وطمعه فى حقوق الناس كثر الحديث والهرج على ولولة حفيظة وصراخها المتكرر ، مع حضور العمدة وشيخ الخفراء للوقوف على ما حدث .

تعالت الأصوات مطمئنة حفيظة على وصول حضرة العمدة ومعرفة لغز الموضوع .

الحاجة سعاد زوجة حضرة العمدة كانت أول الحاضرين لجارتها حفيظة والمرحبين بحضرة العمدة عاين العمدة وشيخ الخفراء درج التربيزه في غرفة نوم حفيظة ومعيشتها وتحسس المنزل بغرفه الثلاث وزريبة المواشى .

تعالت الأصوات بالآراء والمقترحات من أهل القرية .

بينما تستغيث حفيظة بحضرة العمدة من وقوع الكارثة .

الحاجة سعاد حسمت خلاف الآراء بين الشرطة والمندل والبشعة قالت : هاتوا المندل .

عم حسنين رجل بسيط يعتقد الناس فى صلاحه وبركته يحبه أهل القرية ويعتقدون فى كرامته وبركته يسكن فى القرية المجاورة يقولون أنه على علم كبير ومعرفة بالمندل ، استدعاه شيخ الخفراء إلى منزل العمدة غاب ساعة داخل المنزل مع حفيظة والعمدة والحاجة سعاد وشيخ الخفراء .

خرجت حفيظة تجرى إلى منزلها ثم عادت تقول :

برعي برئ يا حضرة العمدة .

ابني برئ .. ابني برئ .

وجدت ثمن البقرة !!

◇

عنوان الجودة

" عتريس الغراب " كما سمته جدته لأمه عند ولادته نظراً لسواد وجهه رجل قصير القامة نحيل الجسم تبدو على وجهه سراديب الحيلة والدهاء ، كما تظهر على كفيه أخاديد التعب والشقاء يعمل مزارعاً فى إحدي القرى التابعة لمركز من مراكز محافظة الشرقية من الجهة الشمالية والتى تبعد عن المدينة ثلاثة كيلو مترات فقط . يقطعها ذهاباً وإياباً على حماره الهزيل كل يوم عند المساء وفى الصباح حيث يعمل خفيراً خصوصياً فى قصر الأستاذ فريد عند الطرف الشرقى للمدينة بعد أن قدمه صديقه عوضين الجكر إلى الأستاذ فريد طالباً منه فرصة عمل لمساعدته لكثرة عياله وشدة حاله فقد أنجب ستة أبناء أكبرهم حصل على دبلوم التجارة فشمله عطف الأستاذ فريد مثل والده فغرسه عاملاً عند صديق طفولته ومحل ثقته ومحبته ليعمل فى محل البويات القريب فى شارع المدينة الرئيسى قريباً من القصر الذى يتردد عليه لينال عطف الست بهية زوجة الأستاذ فريد الذى يملك قطعة أرض واسعة بجوار قرية عتريس الغراب . يقوم على زراعتها بالمحاصيل الموسمية التقليدية .

مجموعة من الفلاحين من قرية عتريس الغراب ومعهم عوضين صديق عتريس وبعض الفلاحين من العزب المجاورة .

عتريس يميل إلى استعطاف قلب الأستاذ فريد والسيطرة على عواطفه واللعب على مشاعره وأحاسيسه وكذلك زوجته الست بهية كريمة اليد التى تحب العطف على الفقراء والمحتاجين قام الأستاذ فريد بزيارة أرضه والوقوف . على أحوال الزراعة والأرض ، فنجح عتريس الغراب فى إقناع الأستاذ فريد فى الحصول على وعد بالحصول على قطعة أرض لزراعة أحد المحاصيل الشتوية التى يجيد زراعتها ، كما استطاع أن يستدر عطف الست بهية الذى وجد فى قلبها متسع لمساعدته على تربية العيال بكثرة الدعاء لولدها الوحيد محفوظ على أن يرزقه الذرية الصالحة لتملأ بيت الأستاذ فريد وتعويض صبر الست بهية ورضاها وأن يطيل فى عمر الأستاذ فريد الرجل الطيب .

بدأت زراعة المحاصيل الشتوية وقد انضم عتريس الغراب إلى مجموعة المزارعين بعد أن ملأ صدر الست بهية وعقلها ضد عوضين الجكر الذى يحرض المزارعين ضد الأستاذ فريد قام بزراعة محصول الفول الذى شوق الأستاذ لزراعته وعانده الكبير وبدأ الاهتمام بالأرض نجحت زراعة الفول مما أدخل السرور على قلب الأستاذ فريد .

أقبل شهر أبريل باعتدال الجو وتباشير الربيع فقام الأستاذ فريد بزيارة الأرض فدعاه عوضين الجكر لزيارة عتريس المريض فى بيته فوجد زوجته تبيع الفول لأهل القرية وهي تحلف لهم بالأمانة أن البيه صاحب الأرض جلب التقاوي من الزراعة وعتريس الغراب يؤمن على ذلك .

◇

الحصاد

الجو صحو ، السماء صافية ، فقد بدأت الشمس ترسل أشعتها الذهبية الدافئة لتمسح عن المكان آثار البرد والصقيع القاسية بلطف وحنان ، فلقد أرادت الطبيعة أن توقظ الناس من غفوتهم وتعلن لهم فطرة الكون .

بدأ السكون يسيطر على المكان الذى كان يملأ الضجيج جوانبه وتبعثر الحركة سواكنه وتثير فيه نبض الحياة وسنة التغير والتبدل فلم يعد يسمع إلا صرير الأقلام اللاهثة على صفحات الورق البيضاء تملأ جوانب الورقة لتعلن فى جلاء ان الحقيقة الكبرى ناصعة مثل ضوء الشمس لامعة مثل بياض النهار .

بدأ صادق وهو قابع فى مكانه شريط ذكرياته منذ طفولته فقد قطع شوطاً طويلاً بين فصول الدراسة وأروقة المدارس والمعاهد ينشر العلم والمعرفة ويبذر بذور الخير والإصلاح ضارباً عرض الحياة وطولها متنقلاً من مكان إلى مكان ومن دار إلى دار .

فقد مضى عليه ثمانية وعشرون عاماً كاملة سلخها جميعها وهو يعمل معلماً ومرشداً فكم تتلمذ على يديه كثيرون وكم تخرج من ساحة فكره كثيرون وهو لم يتغير فى مهنته يؤدي رسالته بينما تآكل جسده وخارت قواه فقد نقش الزمن على وجهه سطوراً خالدات من الجهد والعرق والمشقة ورسم على جبينه صفحة ناصعة من الإخلاص والمثابرة تعلن فى قوة وإصرار عن الصبر نعم الصبر الذى تجلى به ونطقت الحكمة صارخة من فمه تتساقط من بين ثناياه المتآكلة تشتعل بتلك الخبرة الطويلة السابحة بين طيات السنين .

ينخل الأيام ليستخلص العبرة والعظة ويزرع الحب ليحصد الوفاء والعرفان فقد اقترب موعد خروجه تاركاً هذا الحقل الذى أبلى فيه بلاء حسناً ويأتي غيره يلملم ثنايا خبرته وثمرة كفاحه وجهده بعد أن طحنته السنون وعركته الأيام فلا يضن بما حصد ولا يبخل بما وجد .

وبينما هو غارق فى أفكاره فإذا بصوت القادم ينتشله من الغرق فى بحر أفكاره .. أستاذ صادق يلتفت فإذا هو مدير المدرسة ويتقدم نحوه بخطوات متثاقلة ماذا ؟

نعم نعم

لقد تأخرت اليوم عن موعد الحضور الرسمي لماذا ؟!

تعطلت السيارة قليلاً فى الصباح فقد كان البرد قارساً والصقيع قاسياً فأبتْ أن تعمل وأن تتحرك إلاّ ..

ألم تعلم أن هذا موعد رسمي . ؟!

نعم ولكن ..

ليس هناك معنـي للإستدارك فالتعليمـات صريحة وتطبيقها صريح .

أود بعد أن تنتهي لجنتك أن تلحق بى فى مكتبى لتوقع علـى محضر التأخير .

ينصرف المدير ويترك الأستاذ صادق فيعود مرة أخرى غارقاً فى بحار أفكاره .

يسأل أحد الطلاب الجالسين فى القاعة .

ما هذه الكلمة يا أستاذ ؟!

أي كلمة هذه التى تسأل عنها ؟!

يشير الطالب إليها إنها كلمة فى آخر سطر فـى الصفحة يـا استاذ .

يضع صادق نظارته الطبية على عينيه بعد أن مسحها فقد ران عليهـا بعـض الضـباب بعـدما أصـبحت صـديقة وفيـة لا تفارقـه إلا فـى النـوم ولا تسـمح لـه بالسـير أبـداً .. دون مصاحبتها .

أين هي إذن ؟

هاهي ياأستاذ

يُلدغ

ماذا ؟!

اقرأ العبارة كاملة ؟!

" لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين " .

ألـم يكـن مـن الأولـى أن أكـون أنـا فـى موضـع الرئاسـة والإدارة فقد سلختُ ثمانية وعشرين ربيعاً فى هذا الحقل وكل من حولى هو دوني فى الأعمال والخبرات فكيف تمر هذه الأيام ؟! وأنا .. أنا لم أتغير فى العمل كما تغيرت فى الصحة والقوة والمقدرة وزيادة الأعمال .. هل أنا عازف عن الإدارة ؟! .. هل أنا غير قادر عليها ؟!

هل أنا غير راغب فيها ؟

عشرات الأسئلة الحائرة التى تتردد والسؤال الأخير لماذا رغبت فيما انا فيه ؟!

فقد ضاعت حقبة طويلة من عمرى ؟!

ألم يكن ذلك إهمال مني ؟!

يصحو الأستاذ صادق مرة أخرى على صوت الناقوس ليعلن عن انتهاء الحصة الأخيرة فى هذا الاختبار .

يجمع الأستاذ صادق أوراق الإجابة من طلابه ويتوجه بها إلى غرفة المدير ليسلمها .

فإذا بالمدير يمد يده اليمني لاستلام الورق ويقدم بيده اليسرى محضر التأخير وإخلاء الطرف وهو يقول :

لقد تأخرت كثيراً .

الشاعر فى سطور

- الشوادفى الباز أحمد حسن الشنيطي
- موالد قرية جهينة البحرية – مركز فاقوس – محافظة الشرقية .
- حاصل على بكالوريوس علوم قسم رياضيات من كلية العلوم – جامعة الأزهر بالقاهرة .
- عضو نقابة السادة الأشراف .
- عضو اتحاد كتاب مصر
- عضو نادي أدب فاقوس .
- نشر العديد من المقالات والقصائد الشعرية فى المجلات والصحف بالعالم العربى منها : " المجلة العربية – المجلة الخيرية – الجندى المسلم – جريدة الرياض – جريدة الأسبوع – مجلة المجتمع – مجلة الدعوة – المسلمون " .
- حصل على جائزة فى المسرح من جامعة الإمام بن سعود الإسلامية بالسعودية عن مسرحية شعرية (آمال ورمال) .
- حصل على جائزة نادي أدب مكة المكرمة عن مسرحية " شموخ الحق " .
- حصل على جائزة النشيد الوطني من منطقة الإحساء بالسعودية.

له العديد من المؤلفات :

- الحمد لله ثناء ودعاء وغذاء / دار طيبة للنشر والتوزيع .

- تجربة زوجة ناجحة / دار الفرقان للنشر والتوزيع .
- ملامح الصحوة الإسلامية فى القرآن الكريم / دار طيبة للنشر والتوزيع.
- رسالة إلى زوجتي / دار الفرقان للنشر والتوزيع .
- عظماء قهروا الظلام / دار الندي للنشر والتوزيع بالقاهرة.
- كيف تصبحين زوجة / دار الفرقان للنشرو التوزيع .
- مشاهير هرعوا إلى الإسلام / دار طيبة للنشر والتوزيع .
- نساء ناجحات / محموعة قصصية / دار الفرقان للنشر والتوزيع .
- كيف تحل مشكلة ؟! / دار الندى للنشر والتوزيع بالقاهرة – مصر .
- بسمة فجر (مجموعة شعرية / هيئة قصور الثقافة) .
- تغريدة فى رحاب الشعر / مجموعة شعرية / دار الإسلام للطباعة والنشر – المنصورة .

مؤلفات تحت الطبع :

- دروس الطائر الداعية .
- المخدرات الداء والوباء .
- ديننا .
- من وحي الدين " مجموعة شعرية " .
- الإسلام والبطالة .

المحتوى